بداخلي راقصة شرقيّة

قصص قصيرة

داليا بدوي

obeikandl.com

مركز ليفانت للدراسات الثقافيّة والنشر
الإسكندريّة، مصر
دار كتاب مصر القديمة، الإسكندرية، مصر
أدونيس للثقافة والنشر، ريف دمشق، سوريا

اسم المؤلّف: داليا بدوي
عنوان الكتاب :بداخلي راقصة شرقيّة – قصص قصيرة
ط، ت: ١٤٣٩ هـ / ٢٠١٨م

جميع الحقوق محفوظة للمؤلّف

Levant.egsy@gmail.com
موبايل: ٠١١١٤٣٩١٦٠٠ هاتف: ٤٨٣٠٩٠٣ / ٠٣مصر
عنوان: ط ٣، بناء ٤٤ ، ش سوتر، أمام كلية حقوق
الإسكندرية، مصر
رقم الإيداع: ١٠٤٤٣
الترقيم الدوليّ: ٠-٠٥-٦٦٥١-٩٧٧-٩٧٨ / تاريخ ١٤ /٥/ ٢٠١٨م

obeikandl.com

إهـــــداء

إلى مَنْ تغلغل عشقُها في رُوحي. باتتْ أبجديةَ حروفي.
صنعتْ أيقونةَ وجودي. أسكنتْني قلبها. فاضَتْ عليّ عطاءً.
في جلبابِكِ أعيش، وأعلمُ أني سأشبهُكِ قلبًا و قالبًا، جدّتي.

obeikandl.com

obeikandl.com

الحلالُ الملعون

كعادتها كلَّ صباح، تظلّ تتململ في فراشها، وتعاند أشعَّة الشمس التي تداعب عينيها لتستيقظ، وهي لا تنفك تقاوم. تتقلّب يَمنةً ويسارًا، لكنها في النهاية لا تملك سوى الاستسلام. ترفع عنها غطاءَها في تكاسل. تفرك عينيها؛ لتزيح ما تبقى من آثار النوم عنها، تبدأ يومَها كالمعتاد، يستوقفها تأمُّل نفسها في المرآة قبل ذهابها لعملها. تتأكد من هندامها، وتُعدل النافر من خصلات شعرها الكستنائيّ المتهدِّل على كتفيها. تُنمق أحمر شفاهها، وترسل إلى نفسها قبلةً عبر الهواء استعدادًا للخروج.

ما إن تصل إلى عملها، حتى تُلقي - بابتسامتها المعهودة - التحيةَ على الجميع، تدبّ الحركة، تتعالى الأصوات، وتتحرك الأوراق في الأروقة كلها ذهابًا وإيابًا، تدخل بثينة كعادتها في منتصف اليوم متأفّفة ومتذمرةً من كثرة العمل والأخطاء، وتلعن اليوم الذي تزوَّجَتْ فيه، وكيف حوَّلها الزواجُ، وأتعبتها

المسؤوليات، لتلحقها تهانى بالرد مؤكدةً: «الجواز وسنينه». وتتبادلان الشكوى والامتعاض، ليقاطعهما الأستاذ باسم: عجيبة هي الحياة والبشر! يتزوجن ليتذمرن؛ ولو أن إحداهن تأخرت في الزواج، تجدها تضرب «أخماسًا في أسداس!».

انتبهتا لوجود ميرا. تحرجتا من الكلام، وراح الجميع يعمل في صمت. لم تُبدِ ميرا أيَّ انتباه، ولم تشارك في الحوار الذي ملَّتْ سماعَه، كما ملَّتْ كلماتِهم غيرَ المقصودة.

عاجلًا أو آجلًا، تنتهي ساعاتُ العمل التي تُمثل لميرا الحياة والتواصل، صوت البشر الذي يغطي على صمت وحدتها؛ فبمجرد وصولها إلى بيتها، تجلس وحيدة، كما اعتادت منذ رحيل والدتها قبل أكثر من عام.

أيام تمر من دون أن يرنّ هاتف المنزل معلنًا عن أحدٍ من أقاربها؛ ليسأل عنها. لم يعد الأمر كالسابق مع بنات عمّاتها أو خالاتها؛ فكلٌّ منهنَّ مشغولة بحياتها وأبنائها.

مشاهدة التلفاز والقراءة هما الأنيس والجليس لها؛ حتى يغالبها النعاس.

في هذه الليلة، كان الأمر مختلفًا. عاندها النوم، وظلت تحدّق في سقف غرفتها، تشغلها سنوات عمرها؛ التي تنسلُّ من بين يديها، وتسابقها نحو الأربعين. على الرغم من أنّها منشغلة بين دراستها وعملها؛ اللذَين لا تنفك عنهما، إلّا أن هذا لم يمنحها الأمانَ والاحتواءَ، ولم يشعرها بالاكتفاء، ليمنع احتياجها إلى الحبّ والارتباط، كلّ من حولها يتهامس بأنها تخطَّتْ ما يدعونه (سن الزواج)! وبعضهم من أصحاب النوايا الخبيثة يلوكون سيرتها، ويؤكدون تارةً أنها قد تكون مصابة بمرض عضال تخفيه، أو أنها (اللي حَبّ ولا نَال)، وآخرون يدَّعون أنها معقدة أو بها علة... إلخ.

ملَّت من الشائعاتِ والتهامسِ والأسئلةِ التي لا إجابة لها.

أصبحت تتوتر في التجمعات، تكره العزومات واللقاءات، ولاسيما مع القريبات والصديقات، لِمَا تقرؤه في عيونهم من تلميحاتٍ، وفي كلامهم من وجوبِ أنْ تُقدِّم الفتاة بعض التنازلات، وأن تقبل بعض التضحيات، من أجل أن ترتبط وتعيش بين أربعة جدران، بمسمَّى (مدام) فقط!

ميرا تحوي بين أضلعها قلبَ طفلةٍ، وجسدَ أنثى ناريًّا رشيقًا ممشوقَ القوام. لها عقل امرأة ناضجة؛ ومع هذا كله لم يحالفها الحظ لاستقطاب عريس! حصولها على هذه الشهادات كلها لم يكن لها بالمسوغ الكافي يومًا، بل يضيع أدراجَ الرياح أمام حملها شهادة (عانس)، مهما كانت الأسباب!

وفي لفتةٍ حانيةٍ من أكبر سيدات العائلة الموقرة في اجتماعهم السنويّ الكبير، مالت على أذنها لتهمس طالبةً منها أن تقابلها في اليوم التالي، لأنها تملك حلًّا سيُسعدها.

باتت ميرا تحلم بأن تهديها السيدة نازك هانم فارسَ أحلامٍ كأزواج بناتها؛ لتضع لمعاناتها مع المجتمع فاصلًا، وتبدأ من جديد، جلست تتخيل نفسها مدام سليم أو بهيج؛ حتى غفت عيناها؛ لتستيقظ وقد انبعثت في عينيها أشعة الشمس؛ وامتدت لتداعب جسدها الجميل، لتنهض في نشاطٍ، وتنتظر مرور عقارب الساعة بين الحين والحين؛ حتى آن الأوانُ للموعد المرتقب، اندفعت بكل حماسة لموعدها، لتجد السيدة نازك في انتظارها وحدها، وبابتسامتها المعهودة ألقت عليها التحية، وهمت بالجلوس، إلا أن السيدة نازك بادرتها بأنهما على موعدٍ

في مكانٍ قريبٍ. وفعلاً وجدت ميرا نفسها - بعد دقائق عدة - في مكتبٍ، كانت تتخيل أن صاحبه هو العريس المنتظر، لكنَّ وقعَ المفاجأة كان كبيرًا؛ فهي تجلس في مكتب زواج وتخديم؛ إذ صدمتُها كانت أكبرَ من أيِّ كلام، ساد الصمت طوال دقائق الانتظار؛ حتى سمعت اسمها تنادِيه فتاةٌ في أوائل العشرين؛ لتجرَّها السيدة نازك بسرعة البرق، وتسُوقَها كما يُساق البعير إلى الذبح. لكن لا مفرّ! وبدأت الفتاة الشابة كلامها بأن طلبها موجود، وأنها لن تخرج إلّا وفي يدها عريس، ولا سيّما أنّ السّن (مش باين عليها)، وتتمتع بقوام ومظهر جميلٍ، تمنّت أن تبتلعها الأرض. ولم ينتظر أحدٌ ردَّ ميرا، وباغتتها بمجموعةٍ من الصور، وبدأت الفتاة في السرد والتوضيح:

الأول___ رجل في الخامسة والستين بالمعاش. تُوفيتْ زوجته، ولديه أبناء متزوجون.

الثاني___ رجل في الخامسة والأربعين، مطل، رجل أعمال، ومعه ابنته ذاتُ الخَمْسِ سنواتٍ.

الثالث___ في الثانية والثلاثين، يعمل بمركزٍ مرموقٍ، ولا يعارض في فارق السن، بشرط وجود الشقة والسيارة.

الرابع – وهو في رأيها الأنسب، والذي لن تقاوِمَ فيه – سنُّه اثنان وأربعون، ويعمل بسفارةٍ، مطلق، وليس لديه أبناء.

إيه رأيك؟ من منهم ستختارين ؟

ردت السيدة نازك بأن جميعهم أكثر من رائعين، واستدارت بنصف جسدها نحو ميرا، وعلي وجهها علامات استفهام من منهم ستختارين؟

استجمعت ميرا قواها، ولملمت أشلاء نفسها، وغادرت في هدوء غير عابئة بما وراءها، كفراشة حمقاء؛ عانقت الضوء فاحترقت. عادت إلى فراشها؛ تجرّ أذيال خيبتها تحدّق في سقف غرفتها، لتجد كرامتها تُحَلِّق فيه. استرخت، وراحت في سُباتٍ عميقٍ.

obeikandl.com

انتحـــار
«بابيولار»

ظلّت شمسُ ذلك اليوم خلف حجابها متدللة، تهاديت أمام المحل، يقذفني الفتى بحجارة كلماته الرعناء السخيفة، لا أهتم.

أسرع وأنا أشعر كأن جيشًا من النمل؛ يجري تحت جلدي، فيما راحت أعراض الصداع تدبّ في رأسي!

صوت خفيّ يرجوني ألّا أدلف للداخل، أستعيذ بالله، أنفث عن يساري ثلاثًا، صوت انفراج الباب يعلو على صوت دقات قلبي، منتظمة لكن متسارعة، كجواد يعدو في حلبة سباق.

خرجت منِّي التحية تكاد تكون همسًا:

«صباح الخير». ردها عليَّ معاذ وهو يدقق في حاسوبه، لألحقه بسؤالي:

«ما الأخبار؟»، تساءلت في خيفة.

«الشبكة لا تعمل اليوم، والنظام سقط كعادته»، ببرود مصطنع كان ردّه.

لا جديد، الشبكة سقطت كالعادة! فهذا حال الشبكة حتّى منتصف النهار، إن لم يكن معظمه كلّ يوم!

ضاق الهواء بصدري، ونازعت لإدخاله إلى رئتي، لكن من دون جدوى. عملي بالتأمين الصحيّ لم يُشعرني بالراحة يومًا، ولكن ما جدوى هذا الشعور؟ ومتى سأستطيع أن أعاود استنشاق الهواء؟

ولكنه حدث لا أعرف مصدره أو أسبابه، في الوقت نفسه، كنت أثق فيه، ويسيطر عليَّ.

الوعود مؤلمة، والتي لا أحب قطعها للمرضى، لا سيما أنني أعلم في قرارة نفسي عدم تحققها أو الوفاء بها؛ بسبب عدم إمكانية صرف العلاج، أو تحديد موعد عملية؛ فقائمة الانتظار الطويلة جدًّا لا تمنح أغلبهم - إن لم يكن جميعهم - الفرصة قبل فوات الأوان، ما أصعب أن تعلم سوء حالة المريض أمامك، ولا تملك أن تفعل له شيئًا! كم هو مهين ومؤلم أن أنهال عليه بوعود وأنا أعلم أنني كاذبة؛ وأن حياته شارفت على الانتهاء.

يوم آخر سأكون فيه كاذبة، وسأنعت نفسي بالغباء ألف مرة، يوم آخر سيؤنبني فيه ضميري؛ لعدم وفائي بالعهود.

كزجاج مهشم تتحرك شظاياه، وقد يكون دقّ مطارق مستمرًّا في رأسي، كالستار ينسدل؛ ليحول بيني وبين كل رغبةٍ لي في التفكير، تشويش على قدرتي وعلى التركيز.

الألم الأكبر، ذلك الرجل في عمر أبي، وأنا أتخيل أسرته؛ وهم يمطرونني بالدعوات والحَسْبَنة؛ ليس وحدي، وإنما فوق رؤوس العاملين كلهم بهذا المبنى الحكوميّ الكئيب.

أشعر كأني أحمل مائة عام فوق أكتافي، لا مجرد ربع قرن من الزمان.

أنظر إلى بقية مَن حولي. لا أحد يعاني. الكل يضحك. يبررون لأنفسهم أن الأعمار بيد الله، وأن ما باليد حيلة، إلى آخر هذه الجمل؛ التي يربِّتون بها على أنفسهم، ويميتون بها ضمائرهم التي لم تستيقظ منذ أمدٍ بعيدٍ.

الكلُّ يفكر في الغداء، والبيت، والأبناء ورحلة نصف العام وعطل السيارة مجهول الأسباب، الزحام واختناق المرور، عدم الضمير لنقص الملح في رغيف الفول في الصباح!

ماس كهربائيّ يجتاح خلايا مخي.

قرص مهدئ سيكفيني؛ للتغلب على الصداع برأسي، لكنه اليوم فقد هو الآخر مفعوله، لتكتمل منظومة العذاب النفسيّ والإنهاك.

أكره نفسي، وأكره الهواء الذي أتنفسه من حولي؛ فكله رياء وفساد، ولا يزيدني إلا اختناقًا.

أبتلع بقية الأقراص دفعة واحدة، لم أشعر إلّا بالأرض تتزلزل تحت قدميَّ، وأنني أهوي إلى بئر عميقة، لا أصل فيها إلى قرار. لكنني - وبالرغم من ذلك - شعرت بالسعادة لأنني أترك كل هؤلاء من حولي، لا أعبأ إلى أين أنتهي.

أمسح عينيَّ الزائغتين محاولةً أن أرى الأرقام على هاتفي المحمول. بمن أتصل لينقذني مما أنا فيه، ويخلصني من عذاباتي، ويأخذ بيدي حيث أريد؟ تناقض غريب، وقوايَ مني تضيع.

توقفت شراييني فجأةً عن ضخ الدماء، هبطت نسبة الأكسجين، وتكاثرت سحب تحمل الكثير من الضباب، وتلاها انعدام للرؤية؛ لأنني ببساطة سقطت فاقدة الوعي من دون سابق إنذار.

يعلم الله أنني حاولت أن أكون مثلكم، لكن من دون جدوى. لكنّ يأسًا دبَّ في أوصالي، واكتئابًا شديدًا سيطر على تفكيري، شوهني من الداخل وحشر في حلقي ما منعني من التنفس، وأضاء لي طريقًا آخر للحياة!

مهلًا. لا تطلقوا أحكامكم المجحفة وتتهموني بالكفر - حاشا لله - كما رماني من حولي ظلمًا. "من كان منكم بلا خطيئة فليلقني بحجر". فقد علَّمتم أنني أمتلك أسباب السعادة كلّها، ولست بناكرةٍ الجميلَ. سأصف لكم شعوري. ربما تعجزون عن فهمه؛ لأنكم فقط لم تمروا به، وكيف تصبرون على ما لم تحيطوا به علمًا، وقد سبقكم إلى ذلك نبي؟

منذ سنواتي الأولى في هذا العالم، وأنا أعيش في عالم آخر، عالم الأطفال بخياله الواسع؛ الذي أَستمِدّهُ من قصصِ جدتي عن الأمانة والشجاعة والمغامرة، أبطال حكاياتي كانوا قدوتي، كم تخيلت نفسي معهم أو أحدهم. من هنا نبتت وارتوت مشاعري.

أعلم أن الجميع قد ملُّوا اكتئاباتي واعتزلوني، وأصبح حتى الرد على رقم هاتفي عبئًا لا يقوى الكثير على احتماله.

بصوتٍ مرتعشٍ. هل يمكنك القدوم؛ لأخذي من المستشفى؟

ابتلعت أقراصًا منومة!

تأثير الدواء يزداد.

سأموت.

أشفقتُ على نفسي مما آلتْ اليه أموري.

سؤال ظل يتردد على عقلي. متى سنستطيع أن نحتضن أنفسنا بإحساس يكفي لأن نمسح عن قلوبنا أحزانًا لم نتمكن من البوح بها، أو حتى لمجرد أن نشعر بالدفء أو الأمان؟

كم أتمنى لو أصرخ في كلّ مَن حولي، وأعلمهم أن أيًّا منهم لو كان مكاني، ما كان له إلّا أن يتألم كثيرًا من الجرح النازف، وكان رأسه سيمتلئ بالصراخ، فيهرع نحو أشد الثوابت رسوخًا داخل أركان روحه لعله يجد نهايةً لذلك الألم، وبعدها سيتعامل مع رأسه كأنه عضو مبتور منه، سيتحدث له، سيصرخ فيه، ثم سينام وهو يضعه إلى جانب جسده لعله يطيب، ويغمره ذلك السكون الهادئ الذي يغرق فيه جسده في أسرار وبرمجيات، سيصحو وكأن ألف مطرقة قد انهالت عليه كافية بالقدر الذي يلين الحديد، ثمّ ستسحبه تدريجيًّا خطوة خطوة داخل عوالمها

المجنونة التي سيألفها، سيعتاد حديثها؛ حتى تفصله لحظة بلحظة عن عالم البشر. ستوهمه بأنه محور الكون، وبأنه رهن إشارته، سيتحمل الآثام والآلام كلها داخل عقل مريض واحد؛ ليكتشف بعدها أنّه مسجون داخل زنزانة تتسع وتضيق وفق هواء تفكيره؛ ليعود إلى عوالم البشر كالطفل اللقيط الذي نبذه أبواه؛ لتصبح أقصى متعته أن يقبّل رأسَه، ويتركه ينعم في شروده بسلام.

الكلّ ينهال بالأسئلة متصنعًا عدم الفهم:

«ابنتنا صالحة، وتعرف ربها جيدًا، ولا تحاول الانتحار».

روتين ونوبات من الهلع يتخللها هدوء ورجفة وشعور بالبرودة في عز سبتمبر؛ لا يفهمها المحيطون. فقط يروونني غريبة الأطوار. دهاليز كثيرة في عقلي، أخفيتها حتى عن معالجي الوقور في جلسات العلاج النفسيّ...

لحاجةٍ في نفس يعقوب!

غيبوبة

جفت دموعها. لم يبقَ إلا تلك الزفرات التي تتصاعد من روحها إلى السماء، رفعت عينيها لعلَّها تجد الخلاص أو بارقة أمل، ولكنّ شريط ذكرياتها مر أمامها مرسومًا بألوان الطيف يناجي مشاعرها، ويستفز دموعها للسقوط من عينيها، لتتذكر أنها لم يعد لها في عالمها هذا ملجأ ولا ملاذ؛ فقط أفكار، وآلام، وذكريات، يدور صراع بينهم، وهي ثابتة في مكانها تتأمل وتتابع كمن يشاهد فيلمًا بالأبيض والأسود قديمًا، للمرة العشرين، ومع ذلك يتفاعل مع الأحداث، يندمج، يتأثر، يضحك ويبكي، تنساب إلى أذنيها أصوات تلك الموسيقى، رائحة ذاك الحضن الدافئ؛ الذي طالما شعرت داخله بالأمان، أو أنفاس لاهثة في معركة الحياة، حتى رائحة الموت وما يصاحبها من ظلام، صدى أنفاس مختنقة كأنها في نفق مظلم موحش جعل البرودة تسري في جسدها، واقشعرَّ بدنها، لتنهار نبضات القلب تجاوبًا من هذا الإحساس بالانهيار، مع صفيرٍ متقطِّعٍ ينذر برغبة القلب في التوقف عن النبض للحياة، يقاوم العقل ويرفض

الاستسلام؛ ليسمع القلب صوت العصافير وحفيف الشجر. ها هي أرجوحة تهتز، وضحكات طفل صغير تملأ الأرجاء.

أراني وأنا أحلِّق في المكان. أيكون حلمًا؟ لكن لماذا تراني لا أستطيع أن أستفيق؟!

لِمَ يبدو لي وكأن كل شيء بعيد؟ لماذا تبدو فتاتي الصغيرة حزينة وصوتها يرتعش كأنها تبكي، وهي تبادلني الحديث؟ لماذا يتحدثون ولا يشاركني أحد؟ كيف لا أستطيع تحديد مكاني أو رؤية الوجوه؟

ليست لديَّ الرغبة في أن أغمض عينيَّ، أريد أن أدير ظهري أو أن أستدير.

طبطبة على كتفي قطعت هذا الحلم العميق، واستنشقت الهواء كأني لم أكن على قيد الحياة، أفقت على وجه شابةٍ عشرينيةٍ، وهي تبلِّلُ شفاهي لتتهلل أساريرها، وتبتسم في سعادة كأنها فازت بجائزة أو أسعدها خبر جعلها تقفز في مكانها وتطلق جرسًا تبلغ بعده أني أستفيق، لا أشعرُ بجسدي كأن شللًا أصابني، وأحسُّ آلامًا مبرحة كأني توًّا عدت من معركة! ما هذه الوجوه كلها؟ أين أنا؟

طمأنني شاب وهو يمسك يدي ويتحسس نبضي بوجهٍ باشٍ:

"حمدًا لله على السلامة، توقفت قلوبنا معك كلما توقف نبضك، أنت بطلة. مبارك فقد مُنِحْتِ بدايةً جديدةً لا تُتاح للكثيرين".

آخر ما تذكرته أنني كنت في غفوتي المعتادة في طريق عودتي من العمل، ومن حولي أصوات متداخلة كثيرة، علمت بعدها أنني الناجية الوحيدة من حادث ارتطام أتوبيس شركتنا بإحدى التريلات على طريق العودة، لأن سائق الأخيرة كان يقود مخمورًا.

لعلني أستحق فرصة ثانية، لذلك عليَّ أن أظلّ أتنفس ما كتب لي من حياة.

obeikandl.com

فستان زفاف

متعتُها في أن تجلس بالشرفة المطلة على البحر لا تضاهيها متعة، كانت تؤلف قصصًا كثيرةً، وسيناريوهات لحياتها، توزع الأدوار، وتضيف المؤثرات، وترتب الأحداث، حتى تصل إلى النهاية، وحينما لا تعجبها؛ تعاود تغيير الأحداث أو الأبطال، حرة هي في الاختيار، ولكن الواقع لم يشبه أيًّا من قصصها؛ فمع الأيام صارت خاضعةً لكل ما حولها، ولم تمتلك إرادةً للتغيير، فاجأتها نسمات الليل الباردة، لتسري في جسدها قشعريرة دفعتها للعودة لفراشها. ما إن ألقت بجسدها على الفراش؛ حتى تطاير النوم من عينيها وأعلن العصيان، ظلت تتقلب يَمنةً ويسارًا، حررت شعرها من ربطته؛ لتنساب خصلاته الكستنائية كالشلال لتتمدَّدَ إلى جوارها. حدقتْ في سقف الغرفة تفكر في لا شيء، إلى أن راودتها فكرة حمقاء وألحَّتْ عليها، حاولت الهروب، ولكن الفكرة كانت أقوى منها، نهضت من فراشها لتفتح ضلفةَ خِزَانتها التي تضع فيها المتروكات

التي لا تحتاج إليها، لتتسمر في مكانها من المفاجأة أمام ثوب زفافها بماساته اللامعة التي تزين وردات الجبير١ الرقيق، وتعلو الصدرَ تلك الفراغاتُ غير الكاشفة التي تزيد من أناقته، وقد وُزعت عليها وحدات الجبير المطرز بعناية ودقة، وكذلك ذيله الطويل ليكتمل مظهره الملكي، ويقبع تحته حذاؤه الساتان الأبيض المغطَّى بالوحدات نفسها.

تذكرت كم كان ثقيلًا، وكأنه كان يحمل كلّ الأيام التي ستمر بها. وَجَدَتْه مدلًّى في الخزانة، منتحرًا بعد أن كُسرت إحدى علاقاته، ليتدلى نصفه خارج حافظته وقد تغير لونه، انتشرت فيه نقاط صفراء متقاربة، وصار كعجوز خرقاء، حملته وقلبها يعتصره الحزن. سنوات طويلة لم تسأل عنه، وأيام كثيرة مرت، ولم تفكر حتى في الاعتناء به، بعد محاولتها انتزاعه، انكسرت علاقته الأخرى، وكأنما استسلمت لقدرها، وأعلنت هي الأخرى الرحيل، وما كانت إلا في النزع الأخير فقط، تتلمس يد أحدهم لتلفظه، وقد كان. عشرين سنةً واثنتين صَمَدَت، وآن أوان الرحيل. سقط الفستان أرضًا يصارع الإهمال، وكأنما يبكي بين يديها، ويلومها:

١ نوع من القماش، يتكون من وحداتِ وردٍ متصلة.

كيف لكِ أن تتركيني كلَّ هذا العمر؟ وكيف لك أن تأتي الآن وقد بدلني الإهمال وصرت إلى المشيب؟

جلستْ إلى جواره تتأمل تفاصيله، وتنزع عنه غطاءَه، لتجد جزءًا كبيرًا منه لا يزال يحمل البريق نفسه. عانقته ودموعها تنساب؛ وكأنما تعانقُ حبيبًا عاد بعد غياب، وتعود بنحيب مكتوم تلوم نفسها، وتتساءل كيف سارت الأمور بها على ما هي عليه؟ قامت تحمله من الأرض، وأرقدته مكانها على فراشها، وراحت تتأمله في صمتٍ شرد بها إلى مكانٍ بعيدٍ. إلى صوت أمها وهي توقظها؛ لتستعد ليومها الموعود ساعة أو قد تزيد، ويرسل بيت التجميل العاملات؛ لتجهيزها قبل موعد زفافها، تهمّ بالقيام، وتحتضن أمها بلا كلمةٍ واحدةٍ، لكنّ دموعها الدافئة على كتفها فضحتْ مشاعرَها، وكشفت عن توترها، رفعت والدتُها وجهَها تسألها:

خير؟!

ولكن حنين لم تعتَدْ كشف ما بداخلها أو التعبير، طمأنتها أمها، وخلعتها من حضنها، وربتت على كتفها من دون أن تناقشها. على العكس، تهربت حتى من النظر إلى عينيها،

وطلبت منها أن تسرع فالوقت يضيق. وما هي إلا نصف ساعة، وحضرت العاملات، وبدأن في الاعتناء بها بوصفها عروسًا. ملامح حنين الدقيقة وبشرتها وعيناها الواسعتان؛ قد ساعدت كلها في أن تكون ملكةً رقيقة لأعلى درجات الرقّة، ما إن دخلت أمها، لمتابعة الترتيبات النهائية، حتى ترقرقت عيناها بالدموع. كم هي مذهلة وجميلة التفاصيل! خرجت مسرعة؛ حتى لا تخرب تجميلها أو تلحظ حنين تلك الدموع.

ساعدتها البنات في ارتداء فستان زفافها، وأسدلن على وجهها قطعةً من التل بأطراف من الدانتيل الرقيق؛ لتزيد جمالها بالغموض، وحملت ورداتها البيضاء التي تحوي وسطها قلبًا أحمرَ أنيقًا، يتدلى ذيله الورديّ على فستانها الأبيض البهيج. طرقات رقيقة فتح بعدها البابَ رجلٌ في أواخر الخمسين يحمل ملامح هادئة وابتسامة عريضة متسائلًا:

آن الأوان لأتسلم أميرتي فهل من معترض؟

تعالت ضحكات البنات، وابتعدن كاشفات عني، لألتف لمواجهة أبي، لأرى ابتسامته، وأسمعه يكبِّر معجَبًا ويبتسم قبل أن يخطو خطوته؛ ليقبل جبيني، ويخبرني بكم يشبه اليوم

الأمس القريب! كم أنا شديدة الشبه بأمي يوم زفافها! هيا بنا فاليوم لا يجوز فيه التأخير. وتّرتني هذه الجملة؛ ففي جلباب أمي لا أريد أن أعيش.

تعلقتُ في يد أبي لينفتح الباب، وأسير في الممشى؛ لأجد منير يقف في نهايته بحلته السوداء الراقية، وملامحه الدقيقة، وتعلو الموسيقى، وتعلو معها نبضات قلبي، لتتواتر الأحداث، ويقبلني أبي على جبيني هامسًا في أذني:

حبيبتي، إلى هنا انتهى دوري، وعليَّ أن أسلِّمك ليد منير لتكوني ملكته وصاحبته.

ترك يدي ليمسك بها منير، وكأنما هو غريق تتلقفه الأمواج. رفع منديل التل عن وجهي، وقبلني على جبهتي، تعالت الزغاريد، وانخفضت الأضواء، لأرقص بين أحضانه بفستاني الأبيض المطرز بالأحجار ذوات البريق التي كلما سقط عليها شعاع ضوء تلألأت أكثر.

ظل منير يلاحقني بنظراته، ويعبر لي في همسه عن مدى حبه واشتياقه إلى أن يجمعنا البيت نفسه، ويحتوينا الفراش نفسه؛ فمنير حاله كحال سائر الرجال، الحب عنده جسد،

تملُّك، احتضان، وهو ما أرفضه أنا في قرارة نفسي، لكن كنت على أمل أن تغيره الأيام، ويتحول إلى المشاعر الأكثر رقيًّا، كم كانت ساذجة تلك المشاعر التي اقتنعت بها، والأحلام التي عشت فيها!

مر اثنان وعشرون عامًا كلمح بالبصر على زواجنا، علاقتي بمنير كانت غريبة؛ فقد كنت أميل إليه بشدة، وفي نفس الوقت كنت أرفض طريقته في التعبير عن حبه. كان لحياتنا أن تكون أكثر إثارةً وشغفًا، ولكن تكمن المشكلة في حبه الشديد للروتين، ميكانيكيته الشديدة في الأداء، قيوده التي يفرضها عليَّ، واقتناعي بأن الحب حرية، وأنه يجب عليك أن تطلق ما تحب، فإن عاد إليك فهو ملكك للأبد، وإن لم يعد فهو ليس مقدراً لك. لكنني وجدت نفسي كمن لا حيلة له، كم راودتني فكرة تغيير المصير، والانفصال عن منير، إلا أنني كنت سأبدو كمن يصمم على هدم حياته وإصابة من حوله بالحزن والمعاناة الغير المبررة لكل المحيطين بي إلا أنا!

والنتيجة إحساس بالفراغ؛ وعدم الرضا عن نفسي وعن كل شيء من حولي، بمرور الوقت أصبحت أتقبل كل ما كنت

أرفضه من قبل حتى إنني أدمنت الروتين، وأصبحت آلية الحركة والتنفيذ. لا عجب فيما آلت إليه أحاسيسي؛ مع هذه المشاعر كلها وصلت إلى الراحة والسكون، وقد يكون الاستسلام أو اليأس، هذا ما حدث.

أيام عدة، وتصبح ابنتنا الوحيدة رنين عروسًا، ولكنها تختلف في عَلاقتها بخطيبها؛ فكلاهما زميلان في السنة النهائية بكلية الألسن. هى أكثر جراءةً مني؛ فعندما تعرَّفَتْ إلى أنس، جاءت تصارح منير مباشرة، وتخبره بأن أحدهم يريد أن يتقدم إلى خطبتها، وأنه زميلها في نفس الجامعة ونفس القسم. ورغم أن هذا يخالف قواعد منير، إلّا أنه تعامل مع الموقف على غير ما توقعت تمامًا، ورحب بمقابلته؛ وافق على الخطبة بدون تعقيدات، انبهاري يتزايد بتغيرات منير، لا سيما أنه لمّحَ لأنس بضرورة عمل رنين، وأن يتركها تعمل لتكتسب المهارات والخبرات بعد الزواج، كان أشد ما لفت انتباهي وأثار في نفسي حنقًا؛ لم أتمكن من التغلب عليه، وهذا على عكس ما اشترطه عليَّ عندما تزوجنا؛ فقد رفض تمامًا أن أعمل، وقال إنَّ رسالة المرأة بيتها وزوجها ورعاية أبنائها!

رنين وأنس على قدرٍ عالٍ من التفاهم في أدق أمور حياتهما وإعداد منزلهما، ويتشاركان معًا صغائر الأمور، منير كان يعامل رنين كملكة لا أميرة، ويغير مفاهيمه فقط على عتبة عقلها؛ لا سيما ما يخصها وحدها، و أبقى أنا في نفس الخانة، وبنفس طريقة الأداء والمعاملة. فكرت برغم أن الوقت مر وأصبحت بعيدة جدًّا على التغيير إلا أن بصيصًا من الأمل دبَّ في أوصالي، وقررت أن أغير من نفسي، وأغير حياتي؛ فلا وقت غير مناسب لأن نحيا.

اليوم يوافق عيد زواجنا. وانتني فكرة أن أعدَّ له مفاجأةً على سبيل التغيير، البحث عن هدية مناسبة؛ فالهدية في معناها، لا بد وأن تعبر عن الاهتمام لصاحبها لا مجرد هدية فقط. حملت حقيبتي؛ وراجعت تاريخ بطاقتي الائتمانية، مفاتيح الشقة، وألقيت نظرة سريعة في المرآة إلى جوار باب الشقة؛ لأكتشف عدة خصلات بيضاء تناثرت في شعري، وعلى الرغم من أنني أعشقها إلا أنني قررت أن أمر على مركز التجميل؛ لصبغها ليكتمل التغيير. أخذت مفاتيح سيارتي، وانطلقت في طريقي، غلقت النوافذ، ضبطت أزرار التكييف، قناة الأغاني التي أحبها على الطريق، ربطت حزام الأمان، وعند أول

إشارة، توقف السير كعادته، ولكنَّ أصواتًا تعالت أمامي على بعد سيارتين أو أكثر. عراك بسبب تصادم يبدو بسيطًا، لكن لفت انتباهي الشخص المتشاجر

مَن؟ منير؟!

فتحت باب السيارة، وأسرعت بالنزول؛ فالرجل كاد أن يشتبك معه. وقبل خطوات لا تتعدى أربعًا أو خمسًا، وجدت سيدة تعدَّت الثلاثين بقليل؛ لم يسبق لي أن رأيتها من قبل، تخرج من الباب المجاور لسيارة منير، وتنطلق مدافعة بصوتٍ عالٍ. وعندما تطاول عليها الشخص صاحب السيارة الأخرى، ينعتها بلفظ لا يليق، وجدت منير يلكمه لكمة في وجهه، ويخبره بأن عليه احترام زوجته، التي انتشَتْ في سعادةٍ لِلَكمته ورد فعله العظيم. تسمرتُ في مكاني، ومادت الأرض تحت قدميَّ. هل هذه إحدى قصصي الخيالية؟ كدت أسقط لولا أن الرجل؛ الذي كان جواري سارع بإسنادي إلى سيارته؛ التي خرج هو الآخر منها؛ ليشاهد المشادة أمامه، وسارعت زوجته بزجاجة مياه من السيارة، وراحت ترش الماء على وجهي لأستفيق. دموعي تسارعت وتسابقت على وجنتيّ كسيلٍ منهمرٍ.

لا يتردد في عقلي سوى كلمتين: - كيف؟ ومتى؟

انتهت المشاجرة، وبدأت السيارات في الحركة، وجدت نفسي بين السيارات، وكلما مر أحدهم لا أسمع سوى سِبابًا وشتائم، وكأنما أنا السبب في تعطل السير! وعندما فتحت باب سيارتي، انهالت عليَّ اللعنات والاستياء. أغلقتُ الأبواب، واحتضنت المقود، ورحت أبكي. ولم أنتبه إلا والضابط ينقر على زجاج السيارة بوجه غاضب، ويطلب مني أن أفتحه. ألا يستطيع المرء في هذا العالم أن يبكي دون أن يقاطعه أحد؟!

فتحت النافذة، ورفعت وجهي إليه بلا تعبير، تحول وجه الضابط إلى التعاطف بشكل لم أستوعبه لحظتها، ليطلب مني أن أتحرك لأني ببساطة أقف في منتصف طريق السير مما أربك السيارات. بدا على وجهي أني لم أستوعب كلمة واحدة مما قاله الضابط، مما ترتب عليه أن أشار لأحد معاونيه، وطلب مني النزول ليتولى هو القيادة، ويركن السيارة في مكان آمن. حتّى أستعيد قدرتي على القيادة، وأتمكّن من العودة إلى منزلي. مرّ ثلاث ساعات أو قد يزيد؛ وأنا صامتة لا أفكر في شيء سوى أنني لا بد؛ وأن أحيا ما تبقى لي من عمري؛ بلا

قيود أو حدود؛ فكم من وقتٍ مرَّ عليَّ جعلني فيه منير لا أنظر إلّا تحت أقدامي. تأكدت في هذه اللحظة أن كلّ حياتي ما هي إلا زيف.

أيقظني رنين الهاتف من خيالاتي. حاولت أن أتماسك وأتلقى المكالمة، ليأتي صوت محدثي:

أين أنتِ يا ماما؟ تأخرنا على موعد بروڤا الفستان؟

أجبت بكلمة واحدة أحفظها عن ظهر قلب:

حاضر؛ لا تقلقي فما زال أمامنا وقت. دقائق معدودة و أصل إلى المنزل.

قررت العودة إلى المنزل، وبعدها سأبحث عن الإجابات المناسبة والحلول.

نفضْتُ عني ذلك الكابوس، وما إن نظرت في المرآة؛ حتّى رأيت الحقيقة، فعيني متورمة من كثرة البكاء، والكحل الأسود ملأ وجهي فحوَّلني إلى (بعبع) غريب!

كانت حقيقة. لم يكن كابوسًا؛ فقد كان منير مَن رأيته، وكانت إلى جواره زوجته! نعم متزوج بأخرى. هذا هو واقعي الجديد.

أسرعتُ إلى الحمام قبل أن يلمحني أحدٌ بالمنزل، وفتحت صنبور الدش، ووقفت أغتسل من همومي لأخرُج نحو رنين، وكأن شيئًا لم يحدث، إلّا بعض الصداع، أو أي حجة قد تطرأ على عقلى حينها. تساقطت قطرات الماء الساخنة على رأسي، فذبذبت مشاعري وزلزلت أفكاري، وكأن مشاعرى تبخرت مع سخونة المياه. لم أعد أمتلك شعورًا محددًا؛ فكيف لمثلي ألا يكون الشعورُ المسيطرُ عليها هو الغيرة وما يحركها هو الحب؟ تساءلت في نفسي:

هل بعد كلّ هذا العمر لم أستطع أن أحب منير؟ نعم لم أحبه، وإلّا فما هذا الهدوء؟ أم هو ذلك الروتين الذي اعتدته حتى خفتت مشاعري؟ أو قد تكون تآكلت ولم يعد لها أى وجود!

شريط طويل كان يمرّ في مخيلتي لم أر للحبّ فيه وجودًا، كانت عَلاقتي بمنير؛ تحكمها الروتينية والطاعة ويملؤها الانصياع، حياة كنت أراها عادية، حتى برودة مشاعره وصمته وكثرة سفره. ما عدت أهتم بوجوده في البيت أو إلى جواري، شيء اعتدته واستسلمت له، ولكنّي لم أكن أرى إلّا معاناتي وحدي، فهل كان منير يعاني مثلي؟ هل التزم الصمت للأسباب

نفسها؟ غريب هذا العالم، ولكن عليَّ الآن أن أنتهي من تفاصيل زواج رنين، لا مزيد من الوقت في العمر؛ ليضيع فى الحصول على إجابات لأسئلتي. لم يعد يعنيني سوى سنوات عمري التي رحلت بلا حب. تلك السنوات التي ملأها الروتين وبرود المشاعر. كم هو غريب حال البشر! يفضلون المعاناة فى صمت؛ على الشجاعة والإقدام.

أصبح الغدُ هو الأقرب لأرى رنين عروسًا، الاستعدادات على أشُدِّها، يعود منير من سفرته المصطنعة ممتلئًا بالهدايا لرنين، ويسارع باحتضاني وتقبيلي كعادته؛ أجدت تمثيل انشغالي بتجهيزات الفرح، وتهربت من النظر إلى عينيه أو إعطائه فرصةً للحديث. حتى في آخر اللحظات التي كنّا نستعدّ فيها للنوم، تهربت مسرعةً بحجة أنني نسيت إتمام بعض الأمور والوقت يضيق، غفت عيناه وسمعت صوت شخيره؛ لأتأكد أنه راح في سُبات عميق، تسللت إلى فراشي، ولم يغمض لي جفن حتى الساعات الأولى من الصباح لأغفو ما يقرب من الساعتين، يوقظني صوت جرس المنبه يعلن بداية يوم فرحة عمري رنين، تتسارع الأحداث على أجمل ما يكون، لتخرج رنين بملامحَ ردَّتْ إليَّ مشاعر سنوات بعيدة كنت فيها أنا هي، يستقبلها أنس،

وتبدأ مراسم زواجهما كأبهى ما يكون، يهمس منير في أذني بأنه يشتاق إليَّ مثل يوم زفافنا! طلب أن يراقصني، وعندما احتضنني، همس بأذني:

ما أشبه اليوم بيوم زفافنا، وكأنه بالأمس القريب.

رفعت عيني أواجه عينيه؛ أخبره بأن الزمن لا يعود أدراجه؛ مهما نريد، ولكن ليس هناك وقت متأخر لإصلاح أي شيء. لم يفهم ما أعنيه؛ كعادة الأشياء الجميلة في الحياة، تنتهي سريعًا، ليتوجَّها إلى المطار لقضاء شهر العسل كما خططا معًا. أعود أدراجي بعد زفاف ابنتي. بانتهاء المراسم، تركت منير وسرت بعيدًا. لاحقني ممسكًا بذراعي متسائلًا:

«السيارة ليست من هذا الاتجاه»

ضحكت وأجبته:

ولكن هذا هو طريقي وحدي، من قال إن لنا نفس الطريق؟ منير أنا لن أستطيع إكمال حياتي في هذا الزيف.

أغمضت عيني ليهدأ قلبي بعد كل ما كتمه من مشاعر منذ زمن طويل، وعاودت إخباره أنه آن الأوان لأن يأخذ كلٌّ منا طريقه.

اذهب حيث تكون راحتك واتركني لعل روحي تتحرَّر. أنت إلى جوارها أجمل وأكثر بريقًا.

نظر إليَّ وكل إشارات جسده كانت تشير لتوتره وأنه لم يتوقع رد فعلي، ولا يود الإجابة كعادته، ولكن هذه المرة كان الأمر مختلفًا؛ فقد كنت أنا وحدى وما أريد!

لم يجادل ولم يكلِّفْ نفسه تقديم تفسيرًا، وإنما اكتفى بأن أكَّد أني مهمَّةٌ له مثلها أو يزيد، كما أنه أجاد موازنة الأمور بيننا بدليل أني حتّى لم أكتشف هذا إلا صدفةً! وهو على هذه الحال لأكثر من خمس سنوات. بالرغم من بساطة تبريره إلا أنه كان كوقع سكين غرز في مقتل؟ ابتسمت لسذاجتي ولقنته الدرس الأخير، فلو كنت أحبه حقًّا لشعرت كأي امرأةٍ بتغيير أو غيرة؛ ولبحثت وراءه وتشممت عطره وراقبت تصرفاته.

استدرت أواجهه لأخبره:

منير، كنت سجاني وكنت أنا عصفورك الجميل. أما الآن فآن الأوان أن أحيا ما تبقى لي من عمر كما أريد، حرة بلا قيود أو روتين. علاقتنا لم تحتوِ الدفءَ الكافي لتكتمل.

طأطأ رأسه، وقبل أن ينطق بأيّة كلمة، رافقتني ابتسامتي،

وغادرت من سِنِي حياتيّ الماضية، أدرت ظهري، ولم أعبأ بأحد أو بشيء.

- سعادة روح -

ابتسمت ولم تعبأ لأمرِ أحد

ملأت دُنياها حبًّا، وكأنما لم تُخذل أبدًا

صلَّتْ، كأنما سَتموتُ غدًا

استحقت أن تكون سعيدة.

obeikandl.com

بداخلي راقصة شرقية

كانت نصفَ مجنونة ونصف عاقلة، رُوحانية إلى أقصى درجات الصوفية، وواقعيّة إلى آخر درجات الحقيقة، حزنها يعادل بهجتها بالتساوي، وربما لو غلب نصفٌ على الآخر في وقتٍ معيَّنٍ لتوازنت حياتها. بعض من الجنون يمنح للحياة الألوان، تخيل لو كان النهارُ بلا ألوان؟ لو كان الليلُ بلا أضواء؟

بعض الخيال يمنحنا حياة. لا يزال داخلها بقايا حنين للطفولة، كلما رأت قرص الشمس يداعب عينيها؛ تبتسم وتجري، تحلق في الفضاء، تريد أن تلمس ألوان الطيف بيديها، تتراقص كأنما أصابها مسٌّ من الجنون، تتمايل في اندماجٍ، وتغطّي سحابةٌ أشعَّةَ الشمس، تنشر لونًا سرمديًّا يحمل الصفرة القانية، لون مثير، تدور وتدور؛ كأنها في فلك سماويّ، لا تلامس قدماها أرضًا، وقلبها ريشة تتهادى مع النسيم، تشم أنفاسُها عطرًا؛ لا تستطيع تحديد أصله أو مصدره، وترى عيناها نورًا ليس كمثله نور، تفتح عينيها على الواقع. تستفيق و

تهندم نفسها. بخطًى ثابتةٍ تكمل المسير، طالما حملت دواخلها الأضداد كلها، ولكنها تتصالح مع الحياة. تعمل باجتهاد كأن لا يوم قادم لتكمل فيه، تصلي في هيام، وتسجد في خشوعٍ يحسدها عليه شيخٌ جليلٌ وراهبٌ متعبدٌ لسنين.

ضوء الشمس تستمد منه طاقتها وتستفيض، ليأتي المساء بلونه الأسود البهيم، يحارب فيها هذا الضوء الخافت المنير، يحمل برودة تسري في كامل جسدها، يراود خبايا نفسها، يستنهضها للحركة، فتملأ الدّنيا رقصًا؛ تستسلم له من دونِ حرصٍ. تلفّ وتدور حتّى إن شعاع الشمس يتفجَّر منها في كلّ جانب، لتملأ الدنيا بهجة. من دونِ رهبةٍ تنطلق؛ فهي امرأة غاوية لا تجد في العشق معصيةً، لا تهدأ إلّا حينما يغمرها النور، ولم تعد قدماها تلامسان الأرض. في كلِّ مرةٍ تدور. تتمايل وتتراقص حول الضوء، كفراشةٍ تستعذِبُ الضوء. إليه تنجذب بلا إرادة ولا تفكير. ترقص وفقط تهيم. أصوات موسيقى لأغنيةٍ تحفظها. تعرف كلماتها. تُتقن الإحساسَ بها. تلامس قدماها الأرضَ، يهتز خصرها كالفحيح. تتهادى على صوت أم كلثوم:

إنت لو حبيت يومين

كان هواك خلّاك ملاك

إنت ما بينك وبين الحب دنيا

دنيا ما تطولها ولا حتى فُ خيالك

يا حبيبي لبكرة ولآخر وقتي

إيه م الأماني ناقصني تاني وانا بين إيديك

عمري ما شفت حنان في حياتي إلا حنانك

ولا حبّيت يا حبيبي حياتي إلا عشانك

تستفيق على تصفيقٍ حارٍّ، دخان سجائر، وعيون يملؤها الهوى، سكارى، كؤوس تتضارب، تحمل وشاحَها، وتحاول الفرار. تمنعها الخطيئة. تسقط في بئر الرذيلة طوعًا وحبًّا. تهُزُّ خَصرَها كلَّ ليلة. تشعل نيران الخطيئة في القلوب؛ كما كانت تضيء أنوار العشق الإلهيّ في الروح. لم تكن النهاية غريبة بِقَدْرِ جنونها؛ فقد حملت الشيء وعكسه، الإحساس وضده. وكان لا بدّ لأحدهما أن ينهيَ الصراعَ وينتصر.

انتصر شيطانُها؛ وهكذا بعض النهايات تكون.

غيرة عمياء

مرت الأيام سريعًا لتزداد سلوى نضجًا وأنوثةً، ولم تكن تغفل عن نفسها، تعلم جيدًا إمكاناتها، وقدرتها على جذب الانتباه. بعد أن أنهت دراستها، لم تستغرق وقتًا حتى تحصل على وظيفةٍ، وحالفها الحظ بأمين صاحب الشركة؛ التي عملت بها لأشهر عدة، لم تتعدَّ الثلاثة، ليتقدم لطلب يدها، وهي لم تكن لترتضي لنفسها إلا الرجل المناسب الذي يستحقها.

بعد فترة خطوبة، كانت فرصتها لتتلاعب بمشاعر أمين وتلفت انتباهه، ليأتي يوم الثاني من نوفمبر. هذا اليوم الذى سيحدث فيه ما سيغير حياتها، اليوم ستتزوج من أمين وتتحرر من القيود كلها. كم هو جميل هذا الفستان الأبيض وكم هو بريء لونه، كان حفل الزواج رائعًا، تفاصيله كلها. كانت هي المرة الأولى التي أرى فيها زوجةَ (عاصم)، أخي زوجي. قاهرية تعرَّفَ إليها فى أثناء دراسته في الجامعة، وكانت تتمتع بجمالٍ متواضعٍ. وهى خمرية البشرة بسيطة الملامح.

أما أنا، فعكس ذلك. أنثى بما تعنيه الكلمة. فتاة تمتلك مقومات الجاذبية كلها، ما يكفي ليفتت الحجر؛ أعد أمين وعاصم شقتين فى الطابق نفسه لنصبح بذلك متجاورتين في السكن، ويكون الأخوان معًا في الحياة، كما هما في العمل؛ وقد كان.

بعد الزواج، كنت أرى عاصم وهو يدلل زوجته كثيرًا، كان مغرمًا بها حد الجنون على الرغم من تواضع جمالها وبساطتها، كان يعشق كل شيء فيها، ويمنحها نظرات حنونة، ويهتم ببيته، ويحرص على أن يصطحبها معه؛ أينما ذهب.

أما أنا، فقد أصبح أمين منشغلًا كثيرًا عني في عمله بعد زواجنا وبقيّ مشغولًا أشهرًا عدة، وأصبح لا يُلقي بالًا لجمالي الفاتن، أو يذوب عشقًا فيَّ كما كنت أتمنى، لم يمنحني قدر جمالي اهتمامًا، أردت أن أحيا حالة عشق، يعشق هو فيها أنفاسي الحارة؛ حينما تلامس وجهه. يذوب من همس كلماتي ولمسة يدي. يغرقني بكلمات الحب والهيام. يتفحَّص تفاصيلي ذهابًا وإيابًا، لكن كلّما مرّت بنا الأيام، ازدادت برودة مشاعره، وازداد انشغالًا، وأصبح يراني هوجاء لا أحكم ضبط أموري،

ومتطلِّبة من دون النظر إلى ظروفه، وغير مقدِّرة تعبه.

وازددت أنا احتراقًا من إهماله، وغيرةً من اهتمام أخيه بزوجته. من هنا اشتعلت نيران الحقد فى قلبي، وبدأت أسعى جاهدةً؛ لأهدم عَلاقة قاسم بزوجته.

استدلَّني الشيطان بفتنة جسدي وجاذبيتي وسحري، وأغواني باحتياجي إلى الحبّ والعشق والهوى. أول ما فكرت فيه هو إغواؤه وإغراؤه، فتعمدت أن أبرز مفاتني فى أثناء وجوده، كنت أغنج بصوتي كثيرًا، وأتأخر في وضع الشال على رأسي؛ حينما أسمع صوت نحنحته قادمًا، كانت نظراتي له تفضح مكنوني.

فهم تصرفاتي، إلّا أنّه لم يُدِرْ لي بالًا، وهو ما أجج جنوني وإصراري. تماديت في تصرفاتي أمامه؛ فقد كنت أخرج من شقتي بثوبٍ شفافٍ أو ملابس عارية وقصيرة؛ بمجرد أن أسمع صوته خارجًا، رغم أنه يكثر النحنحة، ويرفع صوته بها، إلّا أنني أتجاهل ذلك؛ حينما يراني أتصنَّع الارتباك، وكان كل يوم يزداد اهتمامه ودلاله لزوجته؛ فأزداد أنا غيرةً، وفي أحد الأيام، وجدته أمام بابي. لم أستطع تصديق عينيَّ. بمجرد أن

اتخذ مجلسه، أسرعت إلى جواره، ولكنّه ابتعد في حياء عذراء في خدرها، ممَّا جعلني أشعر بالارتباك، أتساءل في نفسي: ألم يطرق هو بابي ويدخل بكامل إرادته؟ ألم يفهم أنني أراوده عن نفسه؟ بدا لي أنه يعي هذا كله، ولكنني سألته إن كان يريد أن يشرب شيئًا ما؛ ليستطيع أن يكون أكثر راحةً، لكنه فاجأني وبدأ كلامه بأنه يقدِّر أنني أشعر بالوحدة، وإهمال أمين يزيد الأمر سوءًا، ولكن استمراري في مثل هذه التصرفات، سينغص على الجميع حياتهم، ويفسد حياتي قبل أي أحد، وهو لا يريد مصارحة أمين - وإن كان قادرًا على فعل هذا - لكن ما منعه هو طلب زوجته. علامات العجب والبلاهة هي ما بدت على وجهي. أأخبرَها وهي اكتفت بوقوف المتفرِّج؟ التزمت الهدوء؛ خوفًا من أن تشعل الفتنة بين الأخوين، أو أن تفسد حياتي. أيُّ نوعٍ من النساء مثل هذه؟!

لم تعلق إلا ببعض نظرات العطف تارةً، والاحتقار تارةً أخرى، لكن هذا لم يعنِنِي ولم يثنِنِي عن هدفي؛ فأنا أعلم قدراتي بوصفي أنثى حقيقية يتمناها أي رجل.

كيف تكفيها ثقتها في حبٍّ عاصم لها؟ ذات مرة، دعا

أمين عاصم وزوجته للعشاء وجلست إلى جواري؛ والغريب هو شعوري بأني أكرهها على الرغم من طيبتها، وعلى الرغم من أنني في قرارة نفسي كنت لا أنكر عليها أناقتها وذوقها في اختيار ملابسها من دون تكلف، غيرتي وحدها هي ما تدفعني لأنتقدها، كم أنا كاذبة!

خمسة أشهر من زواجي. حملت بتوأم؛ فازددت غرورًا على زوجة عاصم التي لم تحمل بعد؛ فقد كنت ألمِّحُ لها كثيرًا وأتفاخر - عند وجودها - بهذا. لم أراعِ انكسارها، لكن هذا لم يدُمْ طويلًا؛ فبعد سنتين حملت هي وأنجبت ولدًا. محاولاتي كلها لهدم علاقة هذين الزوجين لم تجدِ نفعًا، واكتمل فشلي حينما علمت أن عاصم قرر الانتقال إلى شقةٍ جديدةٍ. أبديت عدم الاهتمام، وقلبي يكاد يتمزق.

تمرّ الأيام، ويزيد التباعد بيني وبين أمين، وأزداد أنا انفلاتًا، لا سيّما أنّه أصبح أكثر انشغالًا وتوسَّعًا فى عمله، وسفراتُه ازدادت يومًا بعد يوم. كنت أتساءل بيني وبين نفسي، وأبرِّرُ لها بأنه ما ذنبي إن كنت لم أجد رجلًا يحتويني ويذوب عشقًا في مفاتني؟ هل أنا حقًّا امرأة شيطانية ضالة؟ وماذا

أفعل؟ فكلما حاولت أن أمسك بزمام أموري وأعود أدراجي، انهارت الدنيا أمامي، وتضاءلت القيم كلها، وانتصر شيطاني.

تمر الحياة - شئنا أم أبينا - ليبلغ الولدان الخامسة من عمرهما، وانشغلت يومها كثيرًا في التجهيز لعيد ميلادهما، والاعتناء بنفسي لأبدو أجمل الحضور، لا سيّما أن عاصم وزوجته من بينهم؛ ليأتي رنين الهاتف في غير وقته، أتى صوت أبي؛ ليعلمني أنه في الطريق إليَّ، فتوقّعت أنه يحمل مفاجأة لأحفاده في يوم مميّز كهذا، لكنه أتى ليصعقني بكلامه الصَّادم الذي بدأه بتوصيتي بألَّا أنزعج؛ فالشرع حلَّل أربعًا، وأن أمين تزوج - من سنة ونصف - فتاة من أصول لبنانية، كانت الصفعة الأولى لي، وأنا التي كنت على ثقة عمياء، بأنه لا يستطيع أن يرتبط بغيري؛ فهو لا يحسن التصرف ولا يخالط الكثير من النساء في عمله، كان يعتمد عليَّ في كثير من أموره، لكنني واجَهتُه، واعترف بذلك.

مع الأيام، تخلّى عني أمين بشكل شبه دائم، ولكنه لم يتأخر كثيرًا؛ فالمصائب لا تأتي فرادى، الصفعة الثانية أتت تباعًا؛ فقد فاجأني زوجي بأن جاء بزوجته لتشاركني الحياة في

البيت نفسه، وأسكنَها شقة أخيه، فأصبحت ملاصقة لي، ولم تكتفِ بأن أخذت زوجي، لكنها الآن جاءت لتشاركني مكاني. تألمت كثيرًا، وكانت تتعمَّد أن تخرج أمامي بملابسها القصيرة شبه العارية، وتتفنن في إغراء زوجي نصب عيني، الآن علمت مدى الألم الذي سببته لزوجة قاسم، لكنّ الزمن كان كفيلًا باسترداد الحقوق، فقدت كلَّ شيءٍ تمنيتُ أن أُفقِدَها إياه. هي انتصرت من دون أن تفعل شيئًا!

obeikandl.com

أحلام مقتولة

في أوائل شهر يناير من عام ١٩٦٠م، وُلدت (أحلام) رقيقة الملامح جميلة المُحَيَّا، وبالرغم من أن قدومها جاء بعد طول انتظار، فإنها لم تملك قرارها يومًا، كانت نتاجًا لأبٍ دكتاتوريِّ القرار، أوامره تنفذ. طلباته تلبَّى بلا نقاشٍ، الخوف والرهبة هما ما كانت تحمله في قلبها وتحويه داخلها، كانت تتفوَّقُ؛ خوفًا من أبيها وعقابه، كانت تحرص على عدم ارتكاب الأخطاء؛ خوفًا منه لا حبًّا فيه، وتحرص على أن تكون هادئة مطيعة؛ حتى يفخر بها. لم تشعر يومًا بحنانه، وإن كان يبدي لها رضاه بين الحين والآخر، وكانت تسمع أحاديثَ صديقاتِها في المدرسة عن آبائهن ومشاعرهم وعلاقاتهم بذويهم، وارتباطهم بهم، وتتعجب في داخلها؛ فهي لم تفهم يومًا تلك المشاعر أو هذه العلاقات؛ فكلّ ما تعلّمته الطاعة العمياء وأن للحياة جانبين خطأ وصوابًا؛ أبيض وأسود، كم احتفظت برأيها وأخفت مشاعرها ولم تعبر عنها، وكلما زادت عدد سنوات عمرها، شعرت بأنها اكتفت من التحكم والدكتاتورية.

لم تكن والدتها بذلك الصدر الحنون أو قارب النجاة، فهي- أيضًا- سلبية تعاني من قهر زوجها، وتشعر مثلها بالخوف من إغضابه؛ إذ هي من علمتها الخضوع، وزرعت داخلها الخوف من أبيها، وطالما تجنَّبَت أن تعترضَ أو تناقشَ أو تُبْدِيَ رأيها، توالت الأيامُ بتشابهٍ وتَوْأمةٍ غريبةٍ، وتَكرارٍ مملٍّ يميت القلب والمشاعر، هكذا نبتت (أحلام) بلا حلم ولا مشاعر تفاعلية مع الآخرين؛ فقط كانت تحصي الخطأ والصواب، لمسموح والممنوع. عمرها تحسبه سنواتها الدراسية عامًا تلو عام، ويعد الآن عامها الثالث الثانويّ، وبالرغم من تفوقها الدراسي، فَقَدْ قرر أبوها ألا تلتحق بالجامعة؛ فهذا الأنسب للفتاة وقدراتها! ففي النهاية ستكون في بيت زوجها!

لأول مرة تشعر أحلام بأحاسيس لم تراودها من قبل؛ فكم تخيلت قباب الجامعة ومدرجات الدراسة ومدى اتساعها عن مدرستها، تعجبت لتساقط دموعها التي سارعت لمسحها، وذهبت لغرفتها، ولكن جرس الجامعة ظلَّ يتردَّد في أذنيها، لم يغمض لها جفن، حتى نسمات الفجر، برقت في ذهنها فكرة ومحاولة لخاصها؛ قد تفلح.

ظلت تنتظر عودة أبيها إلى البيت، وبعد تناوله الغداء، دخلت أحلام على استحياء، وأخبرت أباها برغبتها في إكمال دراستها وفي أية كلية يختارها رأيه السديد. ساد الصمت لفترة، كانت كافية لتتسمَّر أحلام في مكانها، وتشعر بجفاف حلقها؛ الذي ألجم لسانها، ليأتي ردُّ أبيها بعد تفكير بالموافقة، ولكن بشرط: حال وجود العريس المناسب، ستتوقف عن دراستها؛ وقد كان.

دخلت أحلام بانغلاقها وانعزالها كله عن المجتمع - عدا مجتمعها الصغير في المدرسة والبيت - إلى عالمٍ وجدته باهرًا كبيرًا واسعًا ملونًا، لا يحكمه زيّ كزيِّ المدرسة! لم تستوعب مداركُها ما حولها، تملَّكَها الخوف، هابت التعامل وتوجّست مما حولها. تخبّطت مشاعرها، ممَّا زاد من رغبتها في البكاء، أقبلت عليها مجموعة فتيات في عمرها نفسه تقريبًا، وجدتهنَّ جميعًا يضحكن وتملؤهن البهجة، ملأها العجب، وشعور المَشيب. كان يومها الأول كأصعب ما يكون؛ وبمجرد عودتها إلى منزلها، احتضنتها حوائط غرفتها الصغيرة، وأغلقت عليها بابها؛ لتحكم سجنها كما عهدته. ظلت تُحَدق في سقف غرفتها وهي تعيد شريط الأحداث.

ذلك اليوم الأول الذي يُعَدُّ بعمرها كله. قطع عليها استرسالَ الأحداثِ صوتُ والدتها للغداء، خيم الصمت كالعادة وقت الطعام، ثم انصرف كل واحد من أفراد أسرتها لأداء مهامه، وتبعتهم أحلام وهي تحمل أطباقها إلى المطبخ، ليوقفها صوتُ أبيها يدعوها للمثول أمامه، ارتبكت وكادت الأطباق تسقط من يديها؛ لولا أن أسعفتها يد أختها الصغرى لتتوجّه على الفور نحو أبيها الذي بادرها بسؤاله عن جدول المحاضرات، وألقى تعليماته؛ فيما يختص بالذهاب والإياب وعدم تكوين صداقات... إلخ. انصرفت أحلام، وقد ازدادت رهبةً تصل إلى حد الهلع؛ فهي لا قدرة لها على فهم هذا العالم الغريب، والصراع داخلها بين دكتاتورية ألفتها، وقيود ليس لها في عالمها بديل، وعالم مفتوح لا تحكمه قوانين أبيها، ظلت تائهةً كعادتها خارج جدران بيتها وأسوار أبيها، عانت في كلّ يوم من أيامها؛ التي ذهبت فيها إلى الجامعة، وبالرغم من معاناتها، فإنّها - من داخلها وبمرور الوقت - بدأت تحبُّ هذا العالم، وتنتمي له شيئًا فشيئًا. رأت في حرية الآخرين سعادةً لم تملكها يومًا - وهي ما يسميه أبوها انفلاتًا - ورأت في تحررهم بلا قيودٍ راحةً. أيقنت أن ما تربت عليه ليس له مسمًّى سوى القهر، ولكن أيضًا فيما يختص بها لا يوجد بدائل.

حتى طعم التفوق اختلف لرغبتها فيه. تتمنى ألا تنتهي أعوامُها في الجامعة حتى لا تعود لأَسْر أبيها.

كعادتها بعد إنهاء محاضراتها، عادت إلى المنزل، لكنها بمجرد دخولها بادرتها والدتها بأن عليها أن تهيئَ نفسَها، وتستعدَّ لاستقبال أهل عريسها المستقبليّ، نزل الخبر كالصاعقة على رأس أحلام؛ فالعريس معناه نهاية طريقها في الجامعة. دخلت إلى غرفتها وأغلقت عليها بابها، انهارت في البكاء و لم تستطع استيعاب أنّ اليوم نهاية طريق أحلامها، وعلى الرغم من مشاعرها، فإنها - كالعادة - انصاعَتْ للأوامر، وارتدت ملابسها؛ وحينما أشارت لها والدتُها بالدخول، نفَّذَتْ على استحياء وجلسَتْ في هدوء، من دون أن تنطق بكلمةٍ واحدةٍ.

سارت أمورها كما رأى والدها، وكما نفذت والدتها، لتجد نفسها عروسًا، لم تخالف استسلامها، و لم تحارب من أجل مستقبلها.

سرعان ما انتقلت من بيت أبيها إلى بيت زوجها الذي لم يختلف عنه إلّا في أثاثه، ولطف تحكمه، عرضَتْ عليه أن تكمل تعليمها، ولكن برغم لطفِ ردِّه؛ فإنه قابل طلبها بالرفض؛ حتى تتفرغ لتربية أبنائها ورعايته.

كرّرت أحلام قصةَ كثيرٍ من النساء المعنَّفات في صمت، المقهورات في ضعفٍ، سببه الأكبر المجتمع الذكوريّ والتربية الجوفاء في عصرٍ سادت فيه الدكتاتورية.

obeikandl.com

حقيقة حلم

دقّات الساعة تعلن أن الوقت قد حان، في كل مرةٍ يحين فيها الوقت، تلملم أشلاءَها، وتستجمع قواها؛ لمقابلة المجهول، تتشبث بتلابيبها، مبادئها و أفكارها، وأحلامها، ورفضها أشهر مقولة (ضل راجل)!

فمثلها تبحث عن الاكتمال في الحب، و تريد أن تنظر إليه وكأنما ترى صورتها في المرآة، تريد أن ترى نفسها فيه، وتلمس تفاصيلها، وتشعر أنها تمتلك القدرة على اختراقه، والغوص في أعماقه، وتشعر معه وكأن نصف روحها تحمله، والنصف الآخر لديه يجتمعان؛ ليكتملا. العالم بينهما بلا حدود وبلا فواصل.

سيتهمني الكثيرون بالمبالغة، ولكن لا قيمة لحياةٍ لا تحمل إلا (ضل راجل)، يزول مع نسمات الصباح، ويختفي مع شعاع الشمس... هي فقط لا تبحث عن ظل أو شبح رجل كحال أغلب الرجال.

فنجان قهوة.. أغنية دافئة.. صوت أمواج بحر وهي

تتراقص تداعب شاطئه.. لحظة برد.. لحظات الانتظار طالما كرهتها.

صوت عبد الوهاب:

كل ما فيك يا حبيبي حبيبي

شعرك ليلي

جبينك قمري

حبك رحلة عمري.. عمري

آه وسهري

ليلي حلي.. عمري حلي

وكل شيء في الكون حلي...

أسرح بخيالي في هذا المجهول القادم. تنتهي المقابلة بابتسامة باهتة، وسلام.

حلم، على الرغم من بساطته، فلم ولن يتحقق أبدًا...

طالما سمعت كلمات الإطراء و نظرات غيرة النساء، لَمْ يحسدنها على جمال - أو أيًّا كان - بل على بصمة فريدة غزلتها بأناملها وحفرتها في الصخور.

obeikandl.com

راحت تتحسس جسدها الذي تركته ليالي الوحدة مراهقًا؛ يشعر أخيرًا بأنه بحاجة إلى رجل، شرطها الوحيد أن يشعرها فقط بالأمان، و أن يمحو من قاموسها مفردات التعاسة والوحدة والحزن والحرمان، وأن يكون إنسانًا؛ لتكتشف مجددًا أن نظرية (ضل حيطة) لم تصمَّم من أجلها؟

النساء من حولها أدركن الآن أنها ليست نادمة، وأنها عاشقة عزلتها؛ لأنها لم تلتقِ رجلًا يحتويها، فاحتضنت ألمها، وضمدت جراحها، ورقصت (رقصة الحياة)، على سلّمٍ موسيقيٍّ تعرفه هي وحدها.

فلم تلتقِ الفارسَ الذي يروضها؛ لتخضع و لم يدق قلبها طبول الحرب.

على قدر النجاح والتحقق والشهرة، استسلمت بقوة الاستغناء والاستقلال.

عالمها الصاخب المزدحم بالأصدقاء لم يمنحها فرصة الاختيار الجيد؛ لتدرك أن موسم الإخصاب في عمرها قصير، وأن الأمومة لا تقبل التأجيل، وأنّ الحلم لا يقبل القسمة على اثنين.

كانت ترى الطفل كائنًا نورانيًّا؛ لا بدّ أن توضع ثمرته في لحظة مقدسة، ترقى لمرتبة الصلاة، حتّى تحوّلت أمومتها إلى مجرد ضريح تتبرك به العوانس، وتحجّ إليه كلّ من تحلم بالأمومة.

أخبرها أحدُهم هامسًا لها ذاتَ ليلةٍ أن امرأةً مثلها لا تلد، بل تستنسخ؛ لكنّها بَقِيَتْ نسخة وحيدة لم تتكرر، ظلّت مثل الأرض البور، تمتلك رحمًا لا ينبت مهما ارتوى.

obeikandl.com

شيطـــالاك

وُلد في واقع تملؤه الغرابة، تربَّى على مشاهدة العنف بدلًا من أفلام الكارتون، ورضع المكر من أمٍّ لعنها كل ما حولها من أشياء قبل الأشخاص ألف مرة، وماذا سيختار مثلُ أبيه غيرَ مثلِ أمِّه؟! وفي بعض الأحيان، كان يرى أنهم لو كفلوه حيوانًا لكان عليه أحنَّ، فلطالما رأى كلبةً أو قطةً تُرضع صغارها، رآها كيف تحنو عليهم، وكيف تدافع عن حياتهم؛ على الرغم من أن ما يحكمهم هو قانون البقاء للأقوى، فإنهم ملكوا ما لم يجده حوله في كائنات يفترض أنها الأرقى، كان هذا قدره وهذه حياته. يحيط به الموت من كل جانب، الشر منبته، ويسمونه في مجتمعه حقًّا، والقسوة عنوان تربيته، ويلقبونها رجولة؛ وحتى الأجواء الصحراوية من حوله ساعدت في هذا بقسوتها هي أيضًا، فكم ضنت بالماء والكلأ، وكم قتلت من مرعى، فهو يحيا بين بشر بالاسم لا بالفعل.

كان أبوه يأخذه منذ نعومة أظفاره لوضع الفخاخ، ليوقعوا

بسيارات المارة على الطريق الممهد، وغالبًا ما كانت تحمل أطفالًا ونساءً ورجالًا، وعلى الرغم من تشابه الجنس في اللفظ، فإنّه عايش لم يكن يرى وجهًا للشبه بينهم وبين هؤلاء الذين تربّى بينهم، لا رجالًا ولا نساءً، في كلّ مرة كانوا ينهارون ببساطة، ويستطيعون قودهم من دون مقاومةٍ؛ خوفًا على أبنائهم، ويأخذون منهم كلّ ثمين تصل إليه أيديهم، فما يحمله الرجل من أموال من نصيب الأب كاملًا، وما تحمله النساء من ذهب أو زينة من نصيب الأم وحدها، والمقتنيات توزّع لاحقًا، أما السيارة فتفكك في قريته ثم تباع بوصفها قطع غيار في مناطق أخرى، وأما الأسرى - كما يطلق عليهم - فبعد أن يقيدوا وتُغمى أعينهم، يوضعون في غرفة لها باب خارجيّ في منزلهم؛ لطلب فدية من ذويهم لاحقًا، ليعاودوا إطلاق سراحهم.

فطرةُ عايش كانت تراوده بين الحين والحين، وتحرِّك داخله أشياء كان يرجعها إلى الشيطان، فيستعيذ من هلاوسه، ولكن في الفترة الأخيرة لم يعد يبتهج لطلعاته مع أبيه ولا بإلقاء الرعب في قلوب المارة وإرهابهم هذا، وحتى صلاته وراء أبيه أهملها، كان في سجوده حيرة، وما بين الصلاة والصلاة حيرة. تساؤلات كثيرة كفيضان عارم تجتاحه وسيل جارف لا يستطيع

مقاومته، ولكنّ قراره هذه المرة جاء حاسمًا؛ فما بداخله ليس هلاوس ولا هو من صنع الشيطان؛ فما يراه في هؤلاء البشر شيئًا مختلفًا، وما يلمسه غريبًا، وكأنهم عالمٌ آخر. كيف يدافع أب عن عائلته؛ وهو لا يملك سلاحًا؟ لمَ يضحِّي، والأجدر أن ينقذ نفسه؛ كما علمته حياته من دون أن يفكر فيمن حوله! ما معنى هذه الأحضان من هؤلاء الأمهات لأبنائهن وكل هذا الخوف؟ من أين لهم بهذه الملامح الرقيقة؟ والأكثر لفتًا النظر كيف أنهم يصلون! كيف لهم أن يكونوا بهذا القرب، وما تعلمه أنهم هم اللصوص وهم المفسدون في الأرض، وهم من ينعمون بالخيرات، ويتركون أمثال عايش وأهله يموتون جوعًا؟!

هذه الحوارات كلها كانت تدور في ذهن عايش وهو في طريقه للمحبس في بيت أبيه، هذه المرة، لم يفتح الباب عنوةً، ولم يُلثِّمْ وجهه كما علَّمَه أبوه، ولكنه طرق الباب، ثم فتحه، وكأنّه يستأذن، وإن لم يكن لمن وراء الباب حيلة، وبعد خطوات عدة، وقف عايش مشدوهًا يتأمل ملامح هؤلاء البشر الأشرار؛ كما يعلم وكأنه يرى كائنات فضائية، كانت ملامحُ الرجل خاليةً من الغِلظة، ورائحته ذكية لا يشم فيها رائحة اللحم أو العرق كما اعتاد، وملابسه ذات ألوان زاهية، ولا يغطّي رأسه بعمامة

أو غطرة! بادرهم عايش بسيل الأسئلة التي تدور في رأسه، بادئًا إياها:

لماذا تصلون وأنتم أشرار؟ ولماذا أنتم مفسدون؟ لماذا تشبعون بطونكم، وتتركوننا جوعى وعطشى؟

تقدم الرجل بحذر قدر ما سمحت له قيوده، وبادر عايش بصوت هادئ:

نحن نصلي؛ لأننا نحب الله خالق هذا الكون باختلاف لغاتنا أو ألواننا ونعبده؛ ليرضى ويوفقنا فى الأمور كلها، ومن لا يحتاج إلى الله أو من لا يحتاج إلى السجود؟! نحن نعمل طوال اليوم ونجتهد بحثًا عن قوت يومنا ونساعد المحتاج قدر استطاعتنا ونعلم أبناءنا. أين الفساد في هذا؟

طأطأ عايش رأسه؛ فلم تزده هذه الزيارة إلا حيرةً، وأدار ظهره لينصرف، ولكن استوقفه صوت المرأة:

أتعرف أن ما بداخلك هو الصحيح؟ اسمع صوت ضميرك يا بني.

تسمَّر في مكانه لوهلة، ثم أكمل خطواته نحو الباب، وبعد أن أغلقه، ظل صوتها يتردد في عقله، ولكنه خجل أن يسألها:

وما هو الضمير؟

تُرى، هل هو هذا الصوت الشيطانيّ الذي يتردد داخله؟ أم هو تلك الهلاوس في عقله؟

لم تغفُ له عين، ولم يرتَحْ له بال، وتنازعته دواخله بين ما يؤمن به وما تراه عيناه وما يدور في عقله، أيهم الحق وأيهم الباطل؟ صراع لا يستطيع حسمه، أيقظه من الصراع فزعًا صوتُ طلق ناريّ انطلق نحو المحبس ليجد الدخان يتصاعد من فوهة بندقية أبيه، وذلك الذكي الرائحة تحت قدميه صريع من أثر رصاصة اخترقت ما بين عينيه، والمرأة وولداها في حالة انهيار وعويل، انتفض جسد عايش للمشهد سائلًا أباه:

لماذا؟ هذا الرجل ليس شريرًا ولا مفسدًا.

لم يُفق عايش إلا بصفعةٍ قويةٍ على وجهه من أبيه، وأخذه جرًّا إلى البيت؛ وهو يوبخه ويلعنه بأقذر الكلمات، تيقّن عايش أنّ الشرّ يكمن فيه؛ وفيمن حوله، وقرّر في غفلةٍ من أبيه أن يتسلّل إلى المحبس، ويحرر مَن فيه، ويهرب إلى أرض جديدة تحتوي على هذا الضمير، و تحتوي على بشر يحملون معنى

الإنسانية، لا على الأقدام فقط تسير؛ وقد كان. إذ فرَّ من شيطانه وعباءة أبيه؛ ليحيا بجناحَي ملاكه الكامن فيه.

كلٌّ منا يحمل هذا الشيطان، ويحوي هذا الملاك، فانظروا ما أنتم فاعلون.

obeikandl.com

رحلة بحث

أنتظر من دون جدوى.. اكتسى الأفق بلون رماديّ كئيب.. الموج لا يزال فى صراعه المعتاد و صخبه.. تحط فوقه النوارس البيضاء، تختطف الأسماك و تعاود؛ لترتفع فى السماء، المطر ينهمر من دون توقف.. كان لا بد لي من الوصول في موعدي؛ لأتم مقابلة عملي؛ الذي إذا قدر الله لي، سيكون هو عملي الجديد!

على الرغم من قرب المكان من محل سكني فإننى وجدت طريق الكورنيش سيكون الأصعب، فاخترت الشوارع الخلفية.. شارعان.. وها هو ذا رقم البناية.. الدور الأول، باب زجاجىّ شفّاف ينم ما خلفه عن مكان أنيق، اللون الأزرق السماوىّ مع الأبيض الكريميّ، ومقاعد بنية يندمج معها الزرع الأخضر فى أناقة عالية.. جو يوحى بالهدوء و الرقيّ.

شاب فى أوائل العشرينيات على جانبيه فتاتان فى العمر نفسه تقريبًا.. ملأتُ استمارة التقدّم، واخترت التخصّص،

وقيمة المرتّب والحالة الاجتماعية، تلك التي تؤرقني دائمًا، وتجعلنى أتساءل:

ماذا يهمّ رب العمل إن كانت المتقدّمة آنسة أم مطلقة أم أرملة، وكذلك انتمائها الدينيّ.. لا بدّ أن تكون المؤهلات والخبرات فقط هي ما تعنيه!

فتحت الفتاة الباب ودعتني للدخول.. باب من خشب الأرز الذي أعشقه، وُزعت عليه نقوش بشكل إبداعىّ أنيق.

ذلك الضخم الجثة، الكثّ اللحية خلف مكتب كبير يليق بضخامته. سرت فى جسدى رهبة الامتحان، لكنني تشجعت وتماسكت، بعد تفحصه استمارة التوظيف المختصّة بي، وكذلك السيرة الذاتية المرفقة به.. رفع عينيه وكأنّه يتفحصني أنا أيضًا؟

سرت فيَّ رعشة تيار بارد، وانتفض جسدي كأنّ ألف دبوس انغرس فى جسدي المرهق، كدت أصرخ فى وجهه لكننى تمالكت نفسى وحدثتها:

ألا ليت الرجال يعلمون أن حواس المرأة تفوق ألف ردار...!

قطع عامل البوفية الصمت بسؤالي ماذا أحب أن أشرب؟ رفضت بلطف، ولكنّ ذاك الضخم أصر، وقرر فى الوقت نفسه:

كوبان من الشاي!

ثم أخذ يثرثر بكلام كثير، لم أفهم مغزاه غالبًا، ولم أمتلك الإجابة عن معظم أسئلته، فاستعنت بقدرتي على المراوغة، وأعطيته إجابات عائمة. لا سيما أنه ترك السيرة الذاتية كلها، ليسألني:

كيف توفى زوجك؟ ومتى؟ مبديًّا شيئًا من الحزن الكاذب.

بعض أمور الحياة تجبرنا على احتمال بعضهم ومراوغتهم؛ لأننا قد لا نملك قرار الفرار!

وضع العامل الشاي أمامي.. بابتسامة باهتة لم تغادرني طوال مدة وجودى.. تحت إلحاحه الشديد بأنني لن أخرج؛ حتى أنتهي من شرب كوب الشاي.. رحت أتجرعه على دفعات متتالية بسرعة؛ ليباغتني بطلقات أسئلته غير المتوقعة والتي تنم عن خبرة صائد الفرائس المحترف وحنكته.

حاولت الظهور بمظهر الواثقة...

حاول إقناعى بأن الرجل الذى ماتت عنه زوجته، ويرفض الزواج هو حقًا تعيس؛ وهو يخالف الفطرة ونواميس الكون، وحتى المرأة التى يموت عنها زوجها، لا بدّ أن تتزوج، لكنّها المسؤولية والأبناء وخشية القيل والقال فى مجتمع لا يرضى عن أيّ فعل ولا يقدر أيّ ظروف للإنسان، مستأنفًا كلامه متثاقفًا:

نحيا في مجتمعات معاقة ومعيقة في كثير من الأحيان.

وباغتنى بأشهر مقولة سمعتها:

«لو تكلم الأموات فى القبور لدعوا الأحياء إلى الزواج!»

كنت أنظر إلى هذا الرجل الضخم فى غيظ كظيم.. ليقاطعنا رجل لا يخالفه كثيرًا فى الشكل؛ حتّى يبدو أنهما أخوة، بوصفه طوق نجاة، ظهر فجأة؛ وأخذ يسألني عن جامعتي، وعن سنة تخرّجي وخبراتي السابقة، وطلب منّي الحديث عن نفسي خمس دقائق، وضعت كوب الشاي عن يدى وأنا أقول لهما:

سررت بمعرفة حضرتكما، ووقفت استعدادًا لإنهاء هذه المهزلة.

انصرفت مسرعة غير عابئة سوى بإمساك مقبض الباب؛ لأفتحه... شعور بالراحة لا يضاهيه شعور... صوته من خلفى يؤكد أنهم سيعاودون الاتصال بي، الحقّ أنّه لم يبهجني، ولم أنتظر اتصالهما أصلًا؟ ..وكأن شلالًا باردًا ينسكب على جسدى و فوق رأسى.. تصطك أسنانى .. أواجه الهواء .. أشعر بالبرودة.

استطالت البيوت.. اتسعت المسافات.. يدفعني الهواء للخلف.. أعود أدراجي، أعود لأقاوم، وأكمل الطريق.. يتملكّني شعور بالإحباط ، يقابلني مكاني المفضل.. أدخل مسرعة مثل هاربٍ يبحث عن الأمان.. أسرع لطاولتى المواجهة للبحر.. أجدها خالية.. أجلس محتميّة من البرد والمطر المنهمر خلف النافذة الزجاجية، أراقب قطرات المطر الصغيرة؛ وهي تصطدم بالزجاج فى عناد، فيصدمها ويسقطها عنه فى كبرياء.. وعلى الرغم من ذلك؛ فلا القطرات تتوقف عن الانهمار ولا الزجاج يتوقف عن صدّها! أطلب فنجانًا من القهوة، أفتح الجريدة وأبحث عن عمل جديد.. يعلو صوت ميادة:

كان يا ما كان.. كان يا ما كان ..

كان يا ما كان الحب مالى بيتنا و مدفينا الحنان..

زرنا الزمان سرق منا فرحتنا.. الراحة والأمان

حبيبي كان هنا مالي الدنيا عليُّه.. بالحب والهنا

حبيبي يا انا يا أغلى من عينيُّه.. نسيت من أنا

أنا الحب اللي كان.. اللي نسيته قوام

من قبل الآوان ..

و اللّه زمان يا هوى زمان ..

obeikandl.com

عطر شرقي

خلف الجدار الزجاجيّ المطل على البحر، إضاءة خافتة تضيف ملامح غموض مثير. لا أشعر بالجوع، ولكنني أهوى تلك الجلسة!

رائحة البهارات الهندية حين تختلط بعطري الفرنسيّ، فتلتقي أفكاري، وينتعش نبض قلبي، وتملؤني الرغبة بالتمتع بالحياة.

على المائدة المقابلة رجل وقور في أواخر الخمسينيات، يرتدي ملابس كلاسيكيّة راقية، يمتزج فيها الأزرق مع الأبيض، وكوفية بلون سرمدي أنيق. يطلب النادل ويقول له:

عذرًا لم يكن هذا الطبق طلبي؛ فأنا أهوى المذاق تقليديًّا.

أنقذت النادل من إحراجه وارتباكه قائلةً:

عفوًا هو لي.

نظر إليَّ طويلًا بعينيه العميقتين كبئر سحيق، شعرت أنني

أسقط، فأسرعت... أنقذني، وتحولت سريعًا لأنغمس في طبقي أتأمله، لتختلط رائحته بأنفاسي، وأغوص في مذاقه، يندمج مع عطري فيمنحني هذا الشعور المثير.

لم يترك لي فرصة بانحناءة رقيقة، فاح منها عطر شرقيّ راقٍ ملأ رئتي لأرفع رأسي، كي أعاود النظر إلى عمق عينيه، يبادرني باعتذار إذا ما سبب هذا الموقف ضيقًا لي:

أنا جاسر. طبيب أسنان. أتمنى خدمتك، مضى تاركًا كارته الشخصيّ.

على الرغم من مرور أيام عدة، فإن حديثه ظل يتردد بمُخيِّلتي كلما جاء وقت الطعام. بإحساس أنثويّ، أبتسم؛ لحيلته في مغازلتي.

حرصت في المرة التالية ألا أذهب وحدي؛ منعًا لفتح باب التساؤل مع نفسي، وإن كانت رائحة عطره لا تزال تفوح من مقعده الذي أصبح مكاني المفضل الجديد!

تأوهت ألمًا من أسناني فجأة بعد تناول مشروب الكوكتيل، بحثت عن كارته الشخصيّ، عنوان عيادته.

obeikandl.com

عيادة تعبّر عن أناقة صاحبها، أناقة غامضة من نوع خاص، سكرتير شاب.. هو الوحيد - عدا الدكتور - من الرجال في المكان؟! رحّب بي، وسألني إن كنت أود الجلوس على مقعده الملتوي؛ وكأنه يعلم مكان الألم، تعامل معي بلطف شديد ومهارة واضحة، وأرسل سهامه إلى قلبي نافذةً بكلّ دقة.

تكرّرت زياراتي بحجة متابعة أسناني، فى حين تمضي اللقاءات وحوارات الإعجاب، فبلغ مني مبلغ الإدمان، اعتدت تناوله يوميًّا، فاق إدماني عطوري الفرنسية والبهارات. مضت أسابيع عدة، فما كان مني إلا أن سألته:

هل للقاء نهاية؟ فأجاب:

نعم هي نهاية تسطر بداءةً لنا معًا.

جاءت إجابته قاطعة، ثمّ استأنف:

لا يجمَعُ النهايةَ والبدايةَ سطرٌ واحدٌ يا عزيزتي؛ فالاختيار واحد دومًا.

إجابة أسقطتني في بئر سحيقة، ارتطمت بقاعها، لكنني لم أستطع النجاة، استسلمت فقط للسقوط، تماسكت، تركته على وعد بلقاء.

كانت تلك عادته، البحث عن مهرة يصحب خطواتها في عبث؛ للفوز بنظرات الحقد عليه من الجالسين. فوز وهميّ بتلك النظرات؛ التي يبلغ بها نشوة كاذبة، يقترب ليمضي تاركًا إياها في بقعة الضوء وحدها؛ تحصد نظرات الحسرة من غدره بها.

على مائدته الغامضة، نثرت قنينة عطري لأمحو أثره، وطلبت طبقي المفضل برائحة بهاراته النفاذة، وأضفت له الصلصة الحارة؛ التي غطت على كل أثر له. عدت لطاولتي. لا شيء معي سوى عطري والبحر وأنا. أبتسم من جديد ويعلو صوت نجاة:

أنا بعشق البحر.

جرعة أنوثة

سرقتها دوامة الحياة، تخرجت في كلية التجارة بتقديرٍ يمكنها - مع واسطة متواضعة - من العمل بأحد البنوك، والزواج بمحاسب زميلها، أنجبت، بدأت تصحو من قبل الشروق على إعداد الفطور، تجري وراء الصغير والكبير. ده عاوز شراب. ده مش لاقي قميص. واحد عاوز شاي، والأخير راح تاني في نوم عميق! ويسدل الستار على الربع الأول من اليوم بصوت كلاكس أتوبيس المدرسة، وبعدها نزول سعيد لتسخين السيارة لحين نزول سلمى التي تسارع بأخذ رشفةٍ سريعةٍ من فنجان القهوة الخاص بها والذي يكون - في الغالب - قد فقد طعمه من طول انتظاره، بسرعة تسرع فى النزول، وتسمع همس سعيد إلى جوارها، وتتصنع الصمم؛ لأنه نقاش ليس له فائدة، واعتادته آذانها كلَّ يوم، ويستمر حوار سعيد مع نفسه، لاسيما مع تزايد الزحام وطول فترة الانتظار في الإشارات، والتوتر يزيد؛ إلى أن ينتهي عند أبواب البنك لتسارع سلمى بالنزول للَّحاق بالإمضاء، ويليها سعيد بالسرعة نفسها.

تسرع بالذهاب لمكتبها قبل أن يعنفها المدير، تلقي تحية الصباح على كلّ من حولها، وعلى الرغم من الابتسامة المرسومة على وجهها؛ التي اعتادتها في عملها وتعاملاتها مع العملاء، فإنها ما إن يلامس جسدها مقعدها أمام الشباك؛ حتى ترى كم الزحام وتشعر بالانهيار، لتبدأ برن الجرس بشكل دائم، حتى إنها لم تنتبه لوصول عامل البوفيه بطلبها المعتاد) نيسكافيه بلاك) ، ثم نداء رقم العميل لتبدأ التعامل مع الأرقام والطلبات، حتى ينتهي اليوم بإمضاء الانصراف، لتبدأ الربع الثاني من يومها.

تصارع مع سعيد الزحام في طريق العودة، وتلقي باللعنات على قيادة مَن أمامها، والهمهمة على المجاور لها الذي أخذ المرآة الجانبية في طريقه من بدون إبداء أي أعذار، هذا الميكروباص الذي يقوم بعمل عدة غرز، هذه الإشارة التي غفلوا وتباطؤوا في تغيير ألوانها. الشمس الحارقة. حتى ينقذها من سخطها وصولها إلى باب العمارة، لتسارع بالنزول تاركة سعيد في معركته الخاصة مع الركنات.

وتبدأ معركتها للربع الثالث من اليوم في المطبخ لتجهيز الطعام قبل عودة أبنائها؛ الذين بمجرد دخولهم، تسارع لتجهيز

المائدة، وبعد تناول الغداء وغسيل الأطباق تبدأ المعركة الرابعة للربع الأخير من اليوم وهي الأصعب على الإطلاق، معركة المذاكرة ومتابعة الواجبات، والصراخ على الأول، ومحاولة التوضيح للثاني، ونزع فتيل الانفجار مع الثالث الذي لا يتوقف عن العناد والمماطلة بالذهاب للحمام مرةً، أو ادعاء الجوع أو التذمر بلا أسباب، يليها مرحلة إعداد الجدول والتجهيز لليوم التالي.

هكذا تتوالى الأيام وتتكرر، حتى ينتهي العام الدراسيّ، وتتنفس سلمى الصعداء. ارتاحت من الربع الرابع من صراع يومها. سنة تلو السنة وهي على الحال نفسها.

كعادة الصيف، يكون سعيد وسلمى حاجزين مصيفًا لمدة سبعة أيام، وهي الأسعد لهم على الإطلاق، لأنهم ببساطة يخرجون من رتابة الحياة ويتحررون من المسؤوليات، في منتصف أغسطس، كان موعدهم لهذا العام؛ وعلى الشاطئ يتمدد سعيد، ويغطي وجهه ببشكير، ويسترخي قدر المستطاع، تنطلق سلمى وراء الأولاد، بعدها يتوجهون لتناول الغداء ثم يعاودون ليلًا النزول، والسير، وحفلات السمر، وركوب العَجَل، والاستمتاع قدر المستطاع.

في اليوم الثالث، قرروا الخروج للسوق التجاري والتجول الحر في المحلات، سمعت سلمى اسمَها، تناديها به امرأةٌ شديدةُ الأناقة رقيقة الملامح، سرعان ما ميزت ملامحَها، إنّها منال، لقد عادت من السفر بعد غياب عشر سنوات، تريد أن تجمع الشمل، وتتسامران مثلما كانتا تفعلان منذ زمن مضى، وجدت سلمى نفسه،ا وقد مرّ وقت طويل، وتردَّدَ في نفسها الرقم الكبير للسنوات، افترقتا على وعد بلقاء وتبادلتا أرقام التليفونات، أكملت هي وسعيد جولتهم،ا ليسألها بكم سنة كانت تسبقها في الجامعة؟ لم يقصد سعيد بسؤاله أي تجريح؛ وماذا لو علم أنها تكبرها بشهور عدة؟ مما دفع سلمى لسؤال نفسها كم مرّ من الوقت على مواجهتها مع المرأة؟ على حديثها مع سعيد بود بعيدًا عن العمل وزحام الحياة والماديات؟ عشر سنوات بعيدًا عن صديقاتها ومداعبات قراءة الفنجان من نجاة، وخفة دم منال، وإيجابية حنان.

أين أنا الآن؟ سألت نفسها لتجد عقلها الباطن يسارعها بالرد:

أنتِ في معركة الحياة في دائرة الصراع! لكن إلى متى؟

لا بدّ من البحث قائلة بينها وبين نفسها:

إما أن تقف عقارب الساعة - وهذا مستحيل — و إما أن أتجرع جرعة أنوثة تحيي ما مات منّي!

قررت سلمى التغيير نفسها، التغيير من داخلها، من أجلها، ومن أجل سعيد.

بعد انتهاء المصيف، بدأت بتلوين ذاك الشعر الأبيض؛ الذي شرع يغزو شعرها، وقصّته كما اعتادت، ونظّمت وجباتها، وفقدت من وزنها الزائد؛ بما سمح لها ارتداء ملابس بشكلٍ يليق بها، وألوان مبهجة تجعلها تبدو في سنّها الحقيقية، لقد كان التغيير كافيًا للفت نظر سعيد الذي كرّر سؤالها:

هو انتِ أصغر من منال بكم سنة؟ وتعالت ضحكاتهما.

مع بداية العام الدراسيّ رجعت حليمة لعادتها القديمة، ولم تنفع جرعةُ الأنوثةِ في تغيير طباعها؛ فسرعان ما عادت إلى رتابة حياتها، ولم يعد متاحًا أمامَها غير الاستعداد لصراع الربع الأخير من اليوم.

obeikandl.com

طوق نجاة

مع نسمات الليل أسير، أستنشّق رحيق الهدوء، أبحث عن بعض الراحة، أروي ظمأي لموج البحر؛ حينما يلامس أقدامي، يهدهدني، ويداعب أصابعي في مجون، كم أعشق البحر وظلمة الليل وصوت الموج! أمام البحر أشعر أن العالم بلا حدود، تتحرر رُوحي، وأحلِّق بين النجوم.

أبحر داخل قلبي، وأغوص في أعماقي. أطمئن من نبضي إلى أنني ما أزال أتوق إلى الحب غير المشروط. إلى ذلك العشق القادر على أن يتجسد كجداريةٍ تمتلئ بالمنمنات من الأحجار والفسيفساء الدقيقة والموزاييك. لا يوجد سبب ليحتاج أحدُنا إلى الحب أو لأن تتوق نفسه للعشق، نحن بالفطرة نحب، لا يمتلك أحدٌ تفسيرًا للحب؛ حتى الحكماء. ولا طوق نجاة ينجينا من الحب، ولكنه فقط ينجينا من الغرق فيه.

صوت نجاة يأتي من أحد كبائن استانلي:

أنا بعشق البحر

زيك يا حبيبي حنون وساعات زيك مجنون ومهاجر ومسافر

وساعات زيك حيران.. وساعات زيك زعلان

وساعات مليان بالصمت .. أنا بعشق البحر

أفقتُ من عشقي وخيالاتي على صوتِ بكاءٍ مكتوم! لأجد على يساري سيدةً تحمل بين يديها طفلَها، تنظر إلى البحر شاردةً، لا تعبأ لبكاء الصغير، ماذا تنوي أن تفعل؟ يبدو أنها...! تُقبل على الانتحار! قفزتُ من مكاني أمسِك بكتفها أهزُّها لعلها تستفيق، تجثو على ركبتيها، تستغفر، تبكي وتنتحب حاضنةً وليدَها بقوة. يكاد يختنق، أحاول فك يديها، تخور قواها، وترتمي على الرمال منهارة، ترفع رأسها، تستنجد وتسألني:

لم أكن امرأة سوء. نَحْسًا قد أكون، ولكن ما لي والأعمار بيد الله؟!

لا أزال لا أعي كلمةً مما تقول، ثمّ استأنفت القول:

تزوجت وما زلت لم أكمل العشرين في بيت أهل زوجي، كانت لي شقتي الخاصة.

منذ دخلت البيت، وعيون النسوة تلاحقني، تملؤهن الغيرة من سعادتي وزوجي الذي غمرني بالحب والاهتمام. كان المدلل بين إخوته، أصغرهم وأكثرهم شبابًا، لم يمهلني القدر، تبخّر هذا كله بخبر حادث أليم على الطريق، لقد مات. ولم يكن لي حظ في الإنجاب، أجبروني على الخروج من المنزل، وأخذوا مني كل ما أملك، وأعادوني إلى بيت أبي؛ لأنني شؤم على البيت ومن فيه، انتشرت الشائعة، وعانيت من ألمٍ وأوجاعَ نظرات لا ذنب لي فيها. تُوفي أبي. ظللت حبيسةَ أفكارِ مَن حولي؛ إلى أن قاربت الأربعين، ليأتيني ذلك العجوز، تاركًا أبناءَه وزوجته ليعيش حياته ويجدد شبابه، استأذن أبناءَه كطفلٍ صغيرٍ، وافقوا على مضض! حملي كان مفاجأة صادمة للجميع حتّى أنا، فرحة لم أتوقعها أبدًا، عنَّفني. ظل يحدق في التلفاز وينفث دخان سيجارته في عصبية؛ فلم يكن زواجُه مني إلا ليستمتع بحياة لا تحمل أي ارتباط، ولا تحتوي على أية مسؤوليات. هو وفقط أما أنا فإلى فناء، لن يتنازل عن شغفه بالاستمتاع بالحياة لأي سبب كان. أخبرني أنه دفع ثمن زواجه مني لأبنائه. أورثهم كلَّ شيءٍ في حياته قبل عقد زواجه؛ حتى البيت الذي يقيم فيه معي ليس ملكًا له! لم يعنِنِي، ولم أفكر للحظةٍ في التنازل عن جنيني،

طأطأت رأسي باكيةً علِّي أن ألوذ برحمة قلبه، أصبحت أعلم أنه لن يرثه، ولكنني لم أعلم أنه لن يراه!

سكون عجيب يسود، رحت أتحسسه. أهزه لعله يستفيق. فارق الحياة! يحملونه على الأكتاف، ويحملونني إلى المشفى، أصرخ من ألم الفراق والمخاض.

عدت فلم يكن لي مكان، اتهموني بأنني امرأة سيئة أغوت أباهم ليهجرهم، ثم عدت وقتلته لأرث، ولكن القدر أنجاني من كيدهم.

لذتُ بالفرار، لم يعد لي مكانٌ أقصده، افترشتُ أمام الجامع، نهروني، واستعاذوا بالله من الشيطان الرجيم، نظروا إليَّ أنا وابني بوصفنا خطيئة. ألقى كلٌّ مصلٍّ عليَّ حجرًا، يستعيذ بالله منِّي! وهذا يدعو بالستر لولاياه، وآخر ينهرني ويسبني لأنني من تنازلت عن شرفي؟ وصارعني الشحاذون؛ لأبحث لي عن مكان آخر، ولِلَّيل عيون تنهشني. أظلمت الدنيا من حولي، صعبة تقلبات الحياة، كلنا كأوراق الخريف حينما نسقط تتلاعب بنا الرياح كيف تشاء.

امتدت كف الطفل خارج الغطاء، فأسرعَتْ تدسها بين طياته لتحميه. نهضت تستغفر، وعادت من الطريق نفسه.

سارعتُ وراءها، أناديها:

"ياااا... لم أعرف اسمك". استدارت لتخبرني:

"زينب".

"هل لكِ بعملٍ في حضانة للأطفال ومبيت".

طوق النجاة، كنت أنا، ودرس حياة كانت هي لي.

obeikandl.com

هاشتاج

يوم مشحون، ساعات لم تنته مملوءة بالتفاصيل التى تخص العمل والبيت والأبناء، شعور بعدم الرضا والحنق والإنهاك، عشرات الأعباء اليومية؛ التي يئنُّ تحتها كاهلي، المسؤوليات التي يعجّ بها عقلي.

في مكتبي، أخذتُ ألملم أوراقي وحاسوبي في حركة مكوكية اعتدتها مع ضيق الوقت، لكي أعود لمنزلي لمهامي الباقية، كثير من المهام لم تنتهِ بعد، على وشك الانصراف من الشركة، وقد ملأَني الإرهاق والتعب، قدماي لا تكادان تحملاني من شدة الألم. لم يكن بالجديد، ولكني أشعر داخلي بالتعب الشديد، عتمة تراودني حينما أتذكر أنني سأعود لمنزلي، لتبدأ رحلة أخرى، معركة من الضغوط النفسية. عليَّ إعداد الطعام، وتجهيز السفرة، وبعدها مذاكرة الأولاد. أما آن لعذاباتي أن تنتهي؟

كيف لهذه السنوات أن تكون أجمل سنوات العمر؟!

تدخل أمل السكرتيرة، هناك من يريد مقابلتك، وعدت ألا تُطيل! لتدخل سماح بابتسامة هادئة، تتأسف لإزعاجي؟ وهي تعلم أنه موعد انصرافي، لكنها لن تطيل! أكملت أن سبب تأخيرها هو الطريق، استسلمت لهذا الموقف الصعب، وأنا أتوعَّد (أمل) في سرِّي؛ لإحراجي باستقبال هذه الفتاة، بشكلٍ لم تترك لي فيه فرصةً للرفض. ابتسمتُ لها ابتسامةً شاحبةً، ودعوتها لأن تخبرني بما تريد في عجالة، لم أدعُها للجلوس وهي لم تفعل، لتبدأ حديثها وهي تخرج من شنطة متواضعة تحملها مجموعةَ عيناتٍ، مرفقةً معها الأسعار الجديدة والخصم عليها، وتعلل زيادة السعر بارتفاع أسعار المواد الخام نفسها اللازمة للعمل. طلبت منها أن تحضر غدًا وتترك لي الأمر للدراسة؛ فقد كنت أريد الانصراف. ابتسامتها الهادئة التي لا تفارقها وسعادتها أصابتني بعدوى الابتسام، فابتسمت لوجهها الباش، تلك الفتاة الصغيرة التي تصغرني بأعوام، تعمل مندوبة لأحد المصانع التي تنتج مستلزمات البناء. لا أنكر أنها تحمل قبولًا؛ فهي لا تزال صغيرة لم تمتلئ حياتها بالأعباء!

سألتها مداعِبة:

لا تزالين صغيرة يا هندسة ولا تعلمين كيف تدار البيوت؟

لترد هي:

أنا يا باشمهندسة أحمل مسؤولية البيت بكامله! فأنا الأخت الكبرى! جاء ردِّي مستنكرًا:

والداكِ منحاكِ التصرُّف في شؤون المنزل؛ لأنك الكبيرة؟

كانت إجابتُها بالنفي، وإكمالُ حديثِها بأنَّ والديها تُوُفيا، أخجلَني، ثمّ سألتها:

- منذ متى؟
- عشر سنوات!
- منذ عشر سنوات في عمرك أيتها الصغيرة تحمِلين المسؤولية؟ ثم حاولت أن أعرف أكثر فسألتها:
- حادث؟

أجابت: لا... فقد كان والدي يعاني من تلفٍ بالكبد أثَّر في صحته كثيرًا وفي درجة وعيه، وكنا دائمًا في المستشفى، كانت أمي حينها قوية بصحة جيدة ترعانا وترعى والدي، وفجأةً تعبت أمي؛ لنكتشف أن المرض اللعين انتشر في كامل الجهاز

الهضميّ، والموت يدنو منها، وأصعب مرحلة كانت العلاج الكيماويّ الذي كان يستلزم عزل إخوتي الصغار، ليخطفها الموت من بيننا في غضون شهرين.

لا أدري، ولكنني بُهِتُّ، فقد صدمتني كلماتها، ووجدت نفسي أسيرة لأن أسمع بقية قصتها، فأكملت:

«بَقِيَ أبي من غيبوبة كبدية لأخرى، وأصبحت أنا المسؤولة عن أبي المريض وإخوتي وأنا لم أتجاوز الـ ١٨ سنة. عارفة؟ بالرغم من حتمية الذهاب بأبي ومرافقته إلى المستشفى؛ التي كانت أثقل شيءٍ على قلبي، فإنني تمنيت لو ظل على قيد الحياة. أراد الله أن يُتوفى قبل نهاية العام. فأغلقت بابي على إخوتي ونفسي، وكان عليَّ أن أتولى مسؤوليتَهم». فسألتها (مصدومةً):

كم عدد إخوتك؟

- معي أربعة. منهم اثنان توأم.
- أليس لكم عائلة أو أحد يرعاكم؟ أجبتها، فوضّحت:
- لي خال في محافظة أخرى، يسأل عنَّا كلَّ حين، وعم متوفّى قبل أبي، وآخر يعمل في ليبيا متزوج، ولا يأتي من سنين.

سألتها: كيف استطعتِ أن تتحمَّلي هذا كله؟

- يا باشمهندسة نحن نُبتلى، والله يدبر ويمنح القوة على قدر البلاء، حينما سأتزوج سيكون طفلى الأول هو الابن الخامس، فقد ربيت أربعة قبله. ثمّ دخلت في حقل من الأسئلة الصعبة:

- كم عيدًا مرّ عليها وهي الأم والأب، وعليها أن ترسم السعادة على وجوه إخوتها؟ كم صباحًا استيقظت فيه متلهفةً لتوقظَ إخوتَها وتعدَّ لهم الإفطار؟ كم مرةً طلب منها أحدُهم شيئًا، وصَعُب عليها تدبيره؟ كم من مسؤوليات تحملها، ولم تذكرها، ولكنني أعيها، كَوْني أمًّا ومسؤولة.

أصبحت الآن أمامها امرأةً مرفهةً، ذابت مسؤولياتي أمام مسؤولياتها، وتبخرت تأففاتي في حرارةِ ابتسامتها.

كنتُ أتباهى بأنني أرعى أبنائي في غياب والدهم في العمل، فى حين هي كانت ترعى إخوتها في غياب والديها عن الحياة!

يا للمفارقة!

فى حين تتصارع الأفكار في رأسي، قطع حديثَ أفكاري سؤالُها:

- لقد تأخرتِ، أليس كذلك؟

أجبتها:

لا أبدًا... فلم أعلم أكانت تحتاج إلى أن يستمعَ إليها أحدٌ أم أنا؛ التي كنت أحتاج إلى أن أستمع إليها؟

أخرجتْ كشافًا صغيرًا من حقيبتها بوصفه نوعٌ من الدعاية... كشّاف معروف لدينا نحن المهندسين يُلبس على الرأس، لينير لنا بسهولة فى أثناء العمل في غُرَف الكهرباء، فتظهر تفاصيلها الصغيرة، كشاف يحمل اسم شركته، ونوره من سنا ابتسامتها!

شكرتها. سلمت عليَّ وغادرت، أمسكت الكشاف أقلبه في يديَّ. نعم قد كنت أحتاج إلى كشافٍ اليومَ، ينير تفاصيل حياتي، ويظهر كثيرًا من النِّعَم.

نبذة عن كاتب السطور
داليـــا بدوي

- فنانة تشكيلية.
- حاصلة على بكالوريوس الفنون الجميلة جامعة حلوان، وبكالوريوس التجارة جامعة الإسكندرية.
- شاركت بعدة ورش للكتابة الصحفية الإلكترونية، وورش لكتابة القصة القصيرة، و(ق.ق.ج.)، والرواية، وورش لكتابة الفانتازيا، وورشة لكتابة المقالات الصحفية.
- شاركت في مجموعات قصصية جماعية هي: (العزف على أوتار القلوب) - (رحيق الروح) - (رياح وترية) - (صفوة كتاب ق.ق.ج.) - (موسوعة الومضة على مستوى الوطن العربي).
- كاتبة بصفحة الأدب بجريدة بوابة الخبر الإلكترونية، و عدة مقالات بجريدة العراق الجديد.
- للكاتبة تحت الطبع مجموعة قصصية بعنوان: (امرأة بنكهة النيسكافيه).

obeikandi.com

- حصلت الكاتبة على عدة تكريمات وشهادات تقدير في كتابة الهايكو والهايبون.
- حصلت على العديد من الجوائز:
- شهادة تقدير من منتدى الإدريسي السنوي عام ٢٠١٧.
- المركز الثالث في مسابقة الومضة الشعرية فبراير ٢٠١٨.
- الحصول على المركز الأول بمسابقة (ق.ق.ج.) بالمحكيات الصغرى مارس ٢٠١٨.
- الحصول على المركز الأول من الرابطة اليمنية (لقب يمن السرد).
- الفوز بجائزة فؤاد نصر الدين للقصة القصيرة أبريل ٢٠١٨.
- المركز الرابع للقصة القصيرة فرع ثقافة الأسكندرية مايو ٢٠١٨

openkandil.com

الفهرس

الاهداء ٣

الحلالُ الملعون ٥

انتحـــار«بايبولار» ١١

غيبوبة ١٨

فستان زفاف ٢١

بداخلي راقصة شرقية ٣٧

غيرة عمياء ٤٠

أحلام مقتولة ٤٧

حقيقة حلم ٥٣

شيطـــالاك ٥٧

رحلة بحث ٦٣

عطر شرقي ٦٩

جرعــة أنوثــة ٧٣

obeikandl.com

طوق نجاة ٧٨
هـاشتـاج# ٨٣
نبذة عن كاتب السطور..... ٨٩

obeikandl.com